ملحق

الجمعة ٢ كانون الثاني ١٩٩٨



الحكومة

الفقر

البطالة

الاستيطان

بيبي: ٩٨



«باربي» ضد الاطفال!

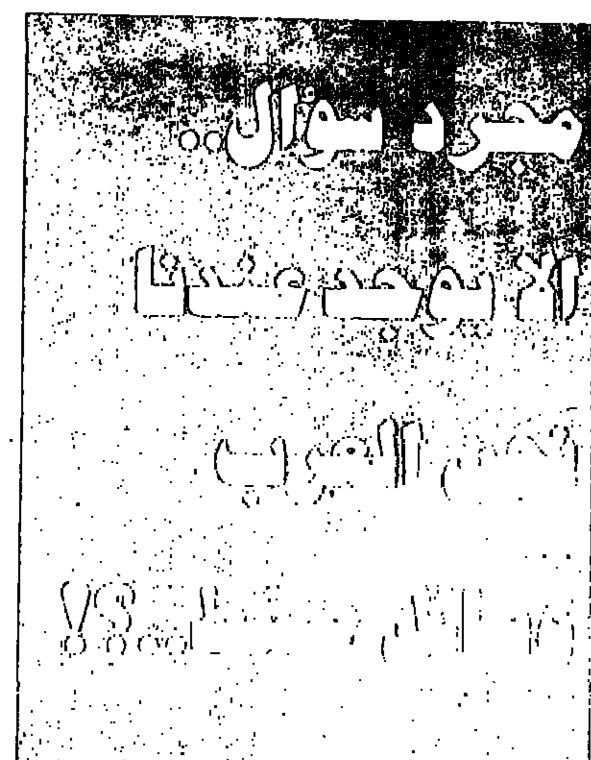
... بامنا الطبيعة!

... سنوات على رحيل جبرا ابراهيم جبرا

... هذه السنة .. حامل



نظير مجلي



* خلال الأيام العشرة الماضية، حاولنا ان نرصد الأبحاث في الكنيست، حول ميزانية الدولة للسنة الجديدة ١٩٩٨. هذه الابحاث التي لا تهم الجمهور الواسع. ويعتبرها الكثيرون ابحاثا جافة وسخيفة ولا تثير الاهتمام، بينما هي في الواقع بالغة الأهمية والحيوية. في كثير من الاحيان تثير ضحك المتفرجين. وفي احيان اخرى تثير اعجابهم.

خذوا مثلا، البحث الذي جرى فجر اول امس الاربعاء، وشاهدناه من الواحدة حتى الرابعة. او ذلك الذي جرى في اليوم السابق.. في الساعات نفسها. كان عدد النواب في القاعة ٦ - ٧ من مجموع ١٢٠ نائبا. ونحن لا نقول هذا في اطار الانتقاد. فقد جرت الابحاث ليل نهار. ولا يمكن الطلب من النواب ان يظلوا ملتصقين بمقاعدهم كل هذه المدة. فهم بشر. لكل منهم قدرة محدودة على الحرمان من النوم. ويوجد بينهم مرضى ومسنون. ولكل واحد منهم مشاغل اخرى خارج الكنيست. لذلك، كان من الطبيعي ان يتغيبوا ساعات طويلة.

هذا الغياب يمس بمكانة الكنيست وبهيبة اعضاء الكنيست، لكنه مفهوم انسانيا. والمفروض ان يوجدوا آلية اخرى لمثل هذه الابحاث تأخذ بالاعتبار تلك القضايا الانسانية.

ومع ذلك، كان هناك نواب نشطاء، حضروا وتكلموا باستمرار. ووجدوا مواضيع ابداعية لطرحها من على منصة الكنيست، قد لا تكون لها صلة بالبحث حول الميزانية، لكنها لطيفة - ظريفة. فالنائب شيفح فايس، مثلا، وجد مناسبا ان يتحدث عن «الكنيست في ايام العز» عندما كانت الابحاث تتخذ طابعا جديا اكثر. وكان القادة زعماء حقيقيين، ذوي هيبة ورصانة. وفهم من حديثه ان رئيس الحكومة الحالي ووزراءه وعددا من نواب المعارضة بلا هيبة. وكذلك فعلت النائبة داليا ايتسيك، التي أجرت مقارنة بين هرتسل وجابوتنسكي من جهة وبين بنيامين نتنياهو، من جهة اخرى واعتذرت بسبب «المفاضلة بين الجبل والفأر».

فايس قال خلال احد خطاباته في تلك الأيام انه يوجد انتقادات لاذعة ليس فقط للحكومة الحالية «بل لحكومات حزب العمل السابقة ايضا». لماذا؟ سأل ثم اجاب لوحده: «لأن الخصخصة بدأت في زمن حكومة رابين. نحن بدأنا نبيع املاك الدولة لاصحاب الرساميل بثمن بخس. نحن ساعدنا الرأسماليين، الذين لا يهمهم سوى الربح، وكان ذلك على حساب عمالنا، جمهورنا، وعلى حساب افقار الدولة».

اما النائب ايلي غولدشميت، الذي انتخب هذا الاسبوع رئيسا لكتلة حزب العمل في الكنيست، فقد القى خطابا مدهشا حول الميزانية. ومن لا يعرف انتماءه الحزبي، يحسبه شيوعيا. اذ طرح موقفا شبيها بالمواقف التي كان يطرحها الحزب الشيوعي في الكنيست منذ عشرات السنين، فقال: «امامنا مشكلتان كبيرتان في الميزانية. الأولى: مصروفاتنا العسكرية. والثانية: اثر السلام على جيوبنا. المصروفات العسكرية ما زالت كبيرة جدا، فوق قدرتنا على الاحتمال. ولولا الدعم الأمريكي الهائل، لما كنا نستطيع الاستمرار. ولكن هذه المصروفات تحتاج الى اجواء سلام ليتم تخفيضها. ولقد حدث وان خفضها المرحوم يتسحاق رابين، عندما انطلقت عملية السلام. ومعروف ان عملية السلام، فتحت أمام اسرائيل آفاقا كبرى للتطور والتقدم الاقتصادي على جميع المستويات، خصوصا السياحة والتجارة. والجمود في عملية السلام يتسبب لنا في خسائر لا يمكن احصاؤها في خطاب او مقال».

.. وهكذا، لكن هذه القضية ليست الموضوع الذي يشغلنا.

□□□□

ما كان يشغل بالنا هو ان ميزانية دولة اسرائيل، لم تقر في الواقع في قاعة الكنيست، حيث المنبر الديمقراطي، انما في مكان آخر تماما. في غرف مغلقة، بالمفاوضات وبالمقايضات وبالضغوط، كما في سوق النخاسين.

وعندما تنظر الى الكنيست وتستمع الى الخطابات.. تشعر بأن وجودهما وقلته واحد. ولكي تعرف حقيقة ما يدور، عليك ليس ان تستمع الى ما يقال وليس ان تقرأ ما يكتب في الصحف، انما عليك ان تراقب جهاز نتائج التصويت الالكتروني او تستمع الى التصويت الاسمي. هنا تظهر الحقائق. فالتصويت هنا ليس على اساس ائتلاف ومعارضة، وليس على اساس الموقف المبدئي من الموضوع المطروح، بل على اساس سياسة العرض والطلب، الضغط والثمن. لماذا تغيب دافيد ليفي وصوت شقيقه ضد الحكومة، هذا يعني انه زعلان، ولم يفز بما يطالب به.

واذا تغيب نواب «يهدوت هتوراه» فهذا يعني ان الدولة ستدفع بضع مئات من الملايين لهم ولمؤسساتهم.

واذا أشاح نواب المفدال بوجوههم عن نتنياهو، فهذا يعني ان الاستيطان سيزدهر في السنة القادمة. فرئيس الحكومة لا يتصور الحياة من دون ائتلاف معهم.

واذا شاهدنا نتنياهو معبسا، يرسل نظراته الحادة تلك نحو الطرف الأيسر من عدسة كاميرا التلفزيون، فهذا يعني ان الدولة ستخلع سروالها وهي تدفع وتدفع. ومعروف ان هناك كثيرا من المطالب العادلة التي تطرحها قوى في الائتلاف، مثل قانون التأمين الصحي ومخصصات تأمين الاولاد وزيادة قروض الاسكان.. وغيرها، وهناك مطالب منفرة تتعلق بالمصالح الحزبية الضيقة لبعض الاحزاب (خصوصا الدينية الاصولية وميرتس والمهود الروس) وبالمصالح الاحتلالية والاستيطانية (والتي ادت الى زيادة هذه الميزانيات بمئات ملايين الشيكلات).

فلماذا اعطيت كل تلك الزيادات، رغم ان وزير المالية اعترض على اعطائها؟!

السر هو في الضغط. قوة الرفع والدفع كانت حسب قوة الضغط لمختلف المجموعات.

وعندما نقول: «مجموعات» لا نقصد الجمهور الواسع. فالمستوطنون مثلا لم يفعلوا شيئا لكي تزيد ميزانياتهم. الفعل كان لممثليهم في الحكومة والكنيست، وهم كثر.

المجموعة الوحيدة التي مارست ضغطا مباشرا هي مجموعة الاطباء والممرضين والعاملين الاداريين في القطاع الطبي. هؤلاء اعلنوا الاضراب وتظاهروا امام الكنيست، دفاعا عنا نحن المواطنين ومصلحتنا نحن. لأن التعديلات على قانون التأمين الصحي تجعل الخدمات الطبية بمستويين: احدهما للأغنياء والثاني للفقراء.

لكن نحن، الجمهور الواسع، صاحب المصلحة الاساسية في الموضوع لم نفعل شيئا. بل كان بيننا من هاجم اضراب الاطباء.

في الوقت الحاضر اجلوا البحث في قانون التأمين الصحي. ولكن التأجيل الى حين. وسنحتاج الى معركة متجددة ضد سياسة الحكومة في هذا المجال.

□□□□

هناك مجموعة اخرى، ظهرت في ميزانية الدولة بشكل بائس. ولم تظهر بين قوى الضغط. نحن، الجماهير العربية.

لقد تحدث باسمنا اعضاء الكنيست العرب وبعض القوى التقدمية. نائبة مثل تمار غوجانسكي، كانت مقاتلة من اجلنا. والمعارضة عموما وقفت الى جانبنا. ومع ذلك، فان الميزانية عبرت كما جلبتها الحكومة تماما بالنسبة للبنود المتعلقة بالمواطنين العرب. نحن نشكل ١٧٪ من مواطني الدولة لكن حصتنا من الميزانية فقط ٢٪.

هذه الحقيقة معروفة لنا بالطبع، من زمان، منذ ان طرح مشروع الميزانية لأول مرة على طاولة بحث الكنيست. وقد عالجناها في «الاتحاد» عشرات المرات. وكتب عنها النائب احمد سعد، عضو لجنة المالية في الكنيست عدة مقالات.

ومع هذا، لم نسمع عن نشاط جماهيري عربي واحد في البلاد ضد الميزانية. لا مظاهرة خاصة. ولا ندوات. ولا تظاهرات. ولا اغلاق شارع. اكثر ما فعلناه كان ادخال الموضوع ضمن قرارات وابحاث هيئات الحزب الشيوعي والجبهة. وبقية الاحزاب، للمقارنة، لا تفكر ابدا في هذا الموضوع. قد تجد لدى بعضها اهتماما في مقبرة القسام، وهذا مهم فعلا ونحن اول من يهتم به، وقد تجد من يهتم بأطفال العراق، وهذا ايضا موضوع مهم ونحن اول من يهتم به، لكن موضوع الميزانية لا يثير اهتمامنا. مع انه يتعلق بقدس اقداسنا: اطفالنا ومستقبلهم، ارضنا، اوقافنا، مدارسنا، بيوتنا، ابنائنا المعوقين، بلدياتنا وبيئتنا.. الخ..

لم نتحرك. فلم يتحرك في هذه القضية شيء.

فلماذا؟

سألت احد الشيوعيين المتمرسين، فأجاب: «كنا في الماضي ندعو الجمهور الى المظاهرة فيتدفق بألوفه. لكن، اليوم، لا احد يحضر». وهذا صحيح. الجمهور لا يتجاوب مع الدعوة للمعارك. ليس دائما. وليس في كل القضايا. فأهالي بيت جن يتدفقون بالوفهم لحماية الأرض، لكنهم لا يتظاهرون ضد التمييز في الميزانية ضدهم. وهم نموذج واحد فقط. وفي اماكن اخرى تجد ان قضية الأرض ايضا لا تجذب الجمهور الى الكفاح.

فهل بدأت تنمو لدينا الاتكالية، نركن الى من يقوم بالمهمة عنا ونحن نظل قابعين في بيوتنا؟!

مجرد سؤال، علينا ان نجيب عليه بأنفسنا ولأنفسنا ومن اجل مصلحتنا ومستقبل اجيالنا.

بيبي ٩٨

□ اليسار التقليدي أنهى العام (٩٧) بالتساؤلات عما اذا كان يكره نتنياهو.. وكأن المسألة قصة حب □

□ بعد ان فرغ من الميزانية سيعود نتنياهو للعبث باعادة الانتشار.. فاين سيصل. وماذا ينتظره.

والاهم: ماذا يخبئ لنا جميعا بحكومته اليمينية ومواقفه السياسية؟ □


● نتنياهو.. «حتى» المنجمون يتنبأون بسقوطه! ●

* هشام نفاع *

■ حتى المنجمون في العالم اجمعوا على ان رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو في طريقه الى السقوط والتنحي. ويُقال «حتى» ليس الا لأنه من السهل جدا على اي واحد قول ذلك. فطبول الحروب الداخلية في حزبه «الليكود» لا تزال ترن في الآذان، ومثلها الملايين التي وزعها استجابة لحلفائه الذين لا يحسد عليهم.. حتى بات من المفيد القول ان من احتفل بالفعل بالسنة الجديدة هم سكان المستوطنات، ورواد المدارس الدينية التابعة للاحزاب المتشددة.

وبالطبع هناك من تنتظرهم سنة احسن من سابقتها. وهم كل هؤلاء الذين يتحدث ذوو الرؤوس الاستيطانية باسمهم. واصطلحوا في هذه البلاد على تسميتهم «الشرائح الضعيفة». فكل حرب الميزانية دارت على بطونهم لكن هذه البطون لم تمتلئ.. لان الاموال ذهبت الى ابطال الابتزاز.. ومنها الى عصابات الاستيطان التي يحذرون من فوهات بنادقها الموجهة الى الفلسطينيين. ومن يحذر؟ جنرالات الجيش وضباط الشرطة، وليس «اعداء اسرائيل».

□ لعبة الكراهية الشخصية □

في هذه الفترة ينشغل عدد من كبار الصحفيين والكتاب في الصحف العبرية بالسؤال، عما اذا كان اليسار الاسرائيلي يكره نتنياهو ام لا. وعما اذا كانت هذه الكراهية اكبر من كراهية اليمين ليتسحاق رابين او شمعون بيرس.

واضافة الى بعض الادعاءات المعقولة، مثل سيطرة اليسار التقليدي على معظم النخب في اسرائيل، فان كل النقاش يتحول الى حديث شخصي فارغ. وكأن المسألة هي محبة نتنياهو وزوجته وولديه. فالانشغال الزائد بالاهمية الذاتية لهذا الشكل من اليسار، وجلد اوساط فيه ذاتها على عدم ابداء مشاعر الحب والدفء تجاه رئيس الحكومة، هي السبب لتغييب المسألة الجوهرية: المواقف.

وربما هناك بعض الصحة في القول ان بعض المواقف تلتقي، والنقاش هنا، يصغر ويدور على الفرق في الاسلوب او الشكل او انواع التوابل المستعملة. وبالتالي رائحة الطبخة..

فالعام (٩٧) مر دون حركة احتجاج حقيقية على ممارسات هذه الحكومة سياسيا. وعدا المظاهرة التي منع العرب من التحدث فيها، في ذكرى اغتيال رئيس الحكومة الاسبق رابين (١١/٤)، وفترة من تصاعد النشاط في الشوارع، ظل المعارضون يكتفون بسب نتنياهو وحكومته في المقاهي والبيانات والخطابات ولذلك لن تكون المفاجأة كبيرة اذا جرت انتخابات جديدة دون نتائج جديدة. لان تسلم دفة الحكم لن يتم بالاحاديث. واذا كان هناك ما يمكن تعلمه من نتنياهو فهو الافعال. وليس المقصود النسخ عنه. بل فرض الامر الواقع. واذا كان هذا الامر خطيرا بل انفجاريا، في ممارسة الامر استيطانيا، فانه سيكون من المفيد استعمال اسلوبه احتجاجيا.. ولكن ما العمل وكل النضال يتم بالعرائض والملصقات الصقيلة ذات المضمون السريع كالهمبورغر؟! ففي النهاية يتميز قادة المعارضة المعروفة بالحياة الهانئة. ولذلك فان احتجاجهم يظل هانئا.. ليس لهم بل لنتنياهو.

□ من لا يتأثر برأس السنة؟ □

الانتقال من سنة الى اخرى يملأ الحياة الفردية والشخصية. فالاحتفالات والحفلات تشعر الواحد ان امرا جوهريا قد وقع. ولكن الوضع ليس كذلك في القضايا الكبيرة. لانها اكبر من رأس السنة. ولذلك فان الالغام السياسية لم تتوقف عن اطلاق دقاتها، احتفالا بالعام الجديد.

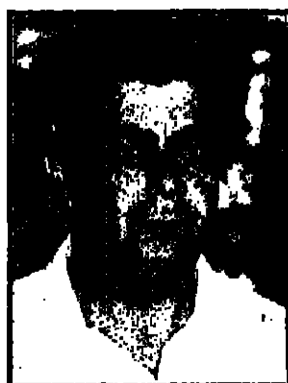
والضائقة الاجتماعية لفقراء المجتمع لن تبدي حسن نية بمناسبة العيد. بل كلاهما سيواصلان الاقتراب من الخط الاحمر الخطير. وربما سيزيد تسارعهما.

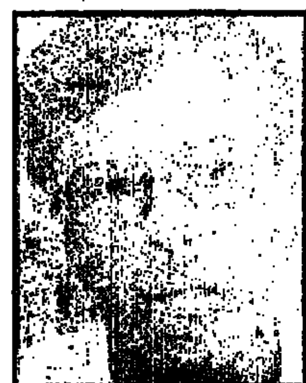
ومن هنا اهمية السؤال حول ما ينتظر نتنياهو في العام الجديد. لان هذا ما سيمس كل واحد وواحدة. سلبا وايجابيا. وهذا على الرغم من تفشي مرض «كره السياسة». وكأنها أكلة غير محببة او دواء مر المذاق..

□ بين العزلة والفضائح □

وعلى هذا السؤال يقول الامين العام للحزب الشيوعي الاسرائيلي محمد نفاع: اعتمادا على تركيبة هذه الحكومة وممارساتها طيلة فترتها، فما ننتظرها هو المزيد من العزلة والفضائح والخداع وعدم الثقة وعدم المصداقية. وبالتالي المزيد من النضالات والاضرابات من قبل كل المظلومين. بمن فيهم الجماهير العربية في هذه البلاد. وآمل ان ينتظر هذه الحكومة مواجهة انتخابات جديدة حتى تفشل فشلا تاما. وسنأمل ونعمل ان تكون


* تمار غوجانسكي *


* محمد نفاع *


* بيني بيغن *


* شلومو بن عامي *

(١٩٩٨) سنة سقوط نتنياهو.

وحول اضطرار نتنياهو المفترض للقيام بخطوة سياسية في اطار الاتفاقيات يقول نفاع: في القضايا الاساسية فإنه متمسك بسياسة متنكرة ومعادية. وما سيفعله سيكون بمعظمه في اطار الضرائب الكلامية وفي قضايا غير اساسية. اما في المسائل الجوهرية، واولها الاستيطان، فيبدو انه مصر على السياسة الكارثية الخطيرة التي عوّدنا عليها..

«العمل» عاطل عن العمل

في حزب العمل استمرت الخلافات الداخلية حتى الاسبوع الاخير من السنة المنصرمة. والتي وصلت حاليا عند انتخاب النائب رعنان كوهين سكرتيرا عاما للحزب. وسبق ذلك تبادل للاتهامات بين زعيم الحزب ايهود براك وعدد من النواب. فهؤلاء رأوا ان وضعهم في استطلاعات الرأي سيء ولا يبشر بخير. فبراك لم ينجح في زيادة شعبيته، الى درجة ان ثلث الناخبين يريدون مرشحا ثالثا. وان دل هذا على شيء فهو يدل على الثقة المحدودة بزعيم «العمل» كبديل. وهذا يرتبط مباشرة بشكل ادارته للمعارضة، فهو يغمز دوما نحو اليمين (ويسميه مركزا)، ويحاول احياء العلاقات مع العناصر التي تقع على يمينه. وابرزها كان تجديد التحالف بين «العمل» و«المفدال» في الجامعات. ورغم ان تأثير هذه الخطوة محدود، بفعل محدودية تأثير الجامعيين الغارقين بغالبيتهم الساحقة في الركض نحو مهنة تدر مالا، ولا يقاربون السياسة الا نادرا، فان هذه الخطوة الشكلية تحمل الكثير من الدلالات. والمعروف ان براك لم يسمع شيئا بشأن العلاقة مع العرب. اللهم الا الاعلان عن نية جرهم الى خدمة قومية. وكأن الحقوق المدنية الاساسية يجب ان تشترى. ومن غير المعروف اذا ما كان بنوي خصخصة حقوقنا بمناسبة السنة الجديدة!

وما قاله النائب شلومو بن عامي لـ«الاتحاد» يعكس هذا الجو. فهو لم يخف قلقه من وضع حزبه «لان عليه ان يستيقظ. وان يفهم ان ارض المعركة السياسية الاساسية هي المواطن العادي. وهنا تتوالى الخسارة لصالح شاس ويسرائيل بعلياه».

بن عامي، الشخصية المعروفة بمواقفها من القضايا



● من مظاهرة لسكان «اوفكيم» ●

ولذلك لا اتوقع اي خير.

بن عامي يركز على الناحية الاجتماعية ويصف ما يحدث بانه عملية تطور باتجاه انتفاضة اجتماعية. فهذه البلاد تشتعل، وليس صحيحا ان البطالة هي المشكلة الوحيدة. لان هناك الاجور المنخفضة.

«وعلى المستوى الدولي» سألته. بن عامي: كل شيء منوط بعملية السلام. ويكفي النظر الى تعاطي العالم مع رئيس الحكومة فهو مليء بالاستهتار والاحتقار نحوه. وكل هذا يعود الى اساليبه والى العملية السياسية المتوقفة.

بن عامي لديه ما يقوله ايضا حول علاقة حزبه بالجماهير

المرأة»..

وهو يلخص وضع المعارضة التعيس بهذا الشكل: علينا العودة الى النشاط اكثر في الشارع. بين الناس. فالخطابات البرلمانية لا تكفي. والمطلوب ان يشعر فقراء المجتمع بوجودنا.. اليوم هناك قيادة جديدة ويجب القيام بهذا.

ولكن بن عامي لا يزال حاليا صوتا خارجا عن اقلية. فتوجهه ليس التوجه الرسمي لحزبه. وامكانية اقامة حكومة وحدة قومية لا تزال امرا يثير لعاب البعض في «العمل». وفي هذا الاطار تتوقع النائبة تمار غوجانسكي ان يلجأ نتنياهو الى هؤلاء اذا وصل طريقا مسدودا، وواجه انقلابا حقيقيا داخل ائتلافه.

والسؤال كما تقول غوجانسكي هو الخياران امام نتنياهو: ازمة ائتلافية ام مرحلة من اعادة الانتشار؟ وتشير الى علامات السؤال الكثيرة التي تلفه. لان الشركاء الائتلافيين يشدون الخيوط الى مختلف الاتجاهات. وهذه ازمة حقيقية، نتائجها غير واضحة بعد.

المجاهيل

النائب بنيامين بيغن اعتذر عن الاجابة على سؤالي بشأن ما ينتظر نتنياهو. واكتفى بجملة من علم الجبر: المجاهيل كثيرة! ومن الصعب التنبؤ.. «وفي قضية العملية السياسية؟» سألت. فأجاب: هذه مجهولة اكثر..!

واذا كنا بدأنا بالمنجمين فيمكن العودة الى ما قالوه عن الرئيس الروسي بوريس يلتسين ايضا. فهم يتوقعون له الاستقالة او الاقالة ايضا. وهكذا يرتسم نتنياهو كرئيس حكومة يهتز الكرسي من تحته باستمرار. كما يهتز يلتسين. ولكن السؤال الصعب والحقيقي، انه يمثل المجتمع الاسرائيلي. هكذا بدون اضافات. واي تغيير لشكل العام (٩٨) عن سابقه، منوط بتحولات جذرية في هذا المجتمع. واولها نظرته الى الفلسطيني والعربي عموما. وهذا سيكون فارغا من اي مضمون طالما بقي «السلام» اغنية لحفلات الروك التي يرتادها ابناء الاغنياء من اليسار، او كلمة تكتب بالاخضر والبنفسجي على ملصق انيق. فاستيعاب السلام يعني استيعاب جوهره وثمنه ايضا. وهذا ما لم يكتمل في هذا المجتمع بعد.. فعلى الرغم من قناعة المعارضة الرسمية بوجوب التوصل الى تسوية سياسية، لا تزال تلتقي مع نتنياهو في بعض «الخرائط الامنية»، والوحدة حول «القدس لنا» وابقاء هذه الدولة مقتلعة من وجودها وسياقها ومكانها الشرق اوسطي. وطالما لم تتبدل هذه الاركان، لن يحدث التغيير الجوهري. وفي الحالتين لا يزال يصح في السنة الجديدة القول «تعدد المجهول» مع نتنياهو رئيسا للحكومة، او بدونه.



● الكنيست.. معتماً ●

الاجتماعية وتأكيد الحاحها واولويتها يقول حول ما ينتظر نتنياهو: انا لا اثق بهذه الحكومة. لانها لا توصلنا الى تسوية سلمية. وحتى لو انجزت مرحلة من اعادة الانتشار، فهذا لا يخفي حقيقة انها تفتقر لبرنامج سياسي واضح المعالم، والى [illegible] واضح مؤيد لما رسمته دولة اسرائيل من اتفاقيات. وبالاضافة، فان البطالة الى ازدياد والفوارق الاجتماعية تتعمق، وسلم الاولويات يميل نحو الاستيطان والمتدينين المتشددين.

العربية، وهو يعرف جيدا انها ليست في صلب «العمل». «فالعرب لا يريدون ان نحدثهم فقط عن السلام، لان هناك قضية المساواة. لوضع رهط وكسيفة ابدا من وضع اوفكيم رغم ان هذه هي التي برزت. والوسط العربي بدا (واؤكد بدا) يرى بعضا من حقوقه في فترة الحكومة السابقة، ولكن المعادلة واضحة، كل ما هو سيء ومضر لدى اليهود يكون اكثر ترديا لدى العرب. ان كان هذا في البطالة، او اوضاع التعليم او وضع

في فترة الاعياد السعيدة..

رفقاً بأمّنا الطبيعة!

*الاحراج والمتنزهات والمناطق الوعرية الجميلة.. هي امكنة مناسبة لقضاء بعض الوقت والتفسح وشم الهواء العليل من افراد العائلة والاقارب والاصدقاء، وفي فترة الاعياد هذه مناسبة جيدة للتمتع بهذه الامور.

ولكن للاسف هناك ما يعرقل ذلك ويحرمنا من احتضان امنا الطبيعة الرائعة.. ويكاد يصبح ظاهرة شائعة دونما رادع. والمقصود هو ظاهرة القاء الزجاجات والمعلبات الفارغة والنفايات والاوساخ في مثل هذه الاماكن. اذ لا يتورع العديد من المواطنين غير المسؤولين عن فعل ذلك رغم الضرر الكبير الذي يشكله.. بتلويث البيئة واشاعة الروائح النتنة التي تشوّش رحلاتنا الى مثل هذه الاماكن.

ان على هؤلاء ان يراعوا مشاعر المتنزهين ومحبي الطبيعة، لا بل ومراعاة «مشاعر» الطبيعة الرائعة. واذا بحثوا جيدا فليس من الصعب ان يجدوا الاماكن المخصصة لرمي النفايات.

لكن.. هل يشير ذلك الى مشكلة في طرق التربية لدى البعض؟ وهل يستدعي الامر توعية الاجيال الناشئة من الآن للحفاظ على الطبيعة ومن ثم على صحتنا وعافيتنا وانشراح صدورنا؟

بهذا الخصوص التقينا المهندس يوسف خوري، وهو احد المتنزهين المهتمين بجمال الطبيعة. فقال ان قذف القاذورات هو من العادات السيئة جدا، وليس فقط في المجتمع العربي، ويسبب اضرارا جسيمة بحياة الناس ويجب محاربة ذلك، وتثقيف كل فئات المجتمع على الحفاظ على النظافة والامتناع عن قذف اي نوع من القاذورات وبشكل خاص زجاجات البيرة الفارغة وفضلات مواد البناء وغيرها.

ويطالب خوري الهيئات المسؤولة والجمعيات الكشفية ومسؤولي المخيمات الصيفية باقامة جمعيات تطوعية للاهتمام بالبيئة خصوصا وان المؤسسات الحكومية مقصرة في الحفاظ على نظافة البيئة والمتنزهات في المناطق العربية ولا زلنا نذكر كيف قام المسؤولون بقلع المقاعد التي كان يجلس عليها المتنزهون، بعد نقل حاويات النفايات الى اماكن اخرى، مثلما حدث مؤخرا، في احراج صفورية. ويطالب المهندس خوري وزارة البيئة بتخصيص ميزانيات للوسط العربي للحفاظ بشكل حضاري على طبيعتنا ومتنزهاتنا التي نعتز بها.

* * د. جمال ياسين *

ويقول الشيخ علي فهد رمضان (ابو الفهد) من سكان حي الكرك في شفاعمرو، والذي يعيش في منطقة طبيعية جميلة: «وانا احب الطبيعة بشكل غير عادي، واحافظ عليها كما احافظ على مكان نومي وبيتي، وكم من مرة اختلفت مع الذين يأتون لمنطقتنا محملين بالقاذورات من جميع الانواع: بقايا لحوم وجيف الحيوانات الميتة، ويلقونها بالقرب من مكان سكنانا. والغريب في الامر انني



■ ظاهرة ترك النفايات والزجاجات والمعلبات الفارغة في اماكن التنزه اصبحت مزعجة، وهي ليست حصرا على منطقة دون غيرها. وفيما يلي يعبر بعض المواطنين من منطقة شفاعمرو - كنموذج - عن آرائهم الداعية الى التصدي لهذه الظاهرة بزيادة التوعية وآليات المراقبة.

■ قبل فترة جمعت من حرج شفاعمرو وجوانب الطرقات هناك، (١٠٠) الف زجاجة بيرة فارغة وعشرون الف طن من النفايات على انواعها، وبعد اسبوع واحد فقط كانت المنطقة مليئة بنفايات جديدة!

*.تقرير وتصوير: احمد حمدي *



* الفنان مروان عوكل *



* الشيخ علي فهد رمضان *

لا اجد العنوان لتقديم الشكوى، ولا ادري ولا استوعب كيف يمكن لانسان حضاري ان يتصرف مثل هذا التصرف. لذلك اقول ان على المسؤولين ان يهتموا بالامر ويعملوا من اجل الحفاظ على بيئة نظيفة»..

اما الفنان المسرحي مروان عوكل، ابن شفاعمرو والمعروف بحبه لجمال الطبيعة، فيقول: «ان وراء تفشي هذه الظاهرة اسبابا كثيرة منها التربية البيتية والمدرسية والاجتماعية. فالانسان الذي يحافظ على بيته ومنطقته يحافظ على البيئة. فلذلك اؤكد على العملية الثقافية الحضارية والتي يجب ان تقوم بها مدارسنا ومؤسساتنا، والعمل على نشرها عن طريق الاعلام بجميع انواعه والتصدي لهذه الظاهرة: فلا يعقل أن يخرج الانسان مع عائلته للتنزه في الطبيعة فيجد نفسه مضطرا للعودة من حيث اتى او الانتقال الى مكان آخر بسبب الروائح الكريهة والقاذورات الموزعة هنا وهناك. فشجرة الخروب التي عمرها مئات السنين تذرف دمعا بسبب القاذورات الملقاة بجانب جذعها، وشجرة الصنوبر تكاد تسكر من روائح زجاجات البيرة المرمية بآلافها.. فيا ايها الناس اناشدكم لا بل اشدد على اياديكم ان توقفوا هذه الظاهرة وتقاوموها بجميع الطرق المناسبة».

ويقول مدير الوحدة المركزية للحفاظ على جودة البيئة «بوابة الجليل» الاستاذ شاهر دياب، ان ظاهرة قذف النفايات في اماكن ممنوعة ظاهرة شائعة في وسطنا العربي، وللاسف الشديد.. رغم التوجيهات الاعلامية التي نصدرها ونوزعها على المواطنين الا ان هذه الظاهرة ما زالت سائدة. ونحن من جهتنا كوحدة مركزية للحفاظ على البيئة في «بوابة الجليل» الـمنا عن طريق وزارة البيئة حاوية نفايات في كل مدينة وقرية لقذف النفايات وخاصة بقايا اللحوم والجيف، لكن للاسف الشديد فان المواطن يفضل رميها في اماكن ممنوعة وفي اطراف كل بلدة، ولا يستعمل المجمعات التي اقمناها. وهذا يؤكد عدم تجاوب المواطنين مع نداءاتنا واستعمال ما هو قانوني. والامر الذي لا يقل اهمية موضوع شرب البيرة وقذف الزجاجات الفارغة على اطراف الشوارع مما يشوه كل منظر جميل ويؤثر تأثيرا سلبيا على صحة المواطنين. لذلك فنحن في بوابة الجليل نناشد المواطنين مساعدتنا عن طريق تسجيل ارقام السيارات التي تقذف الزجاجات من داخلها لكي نستطيع ان نحرر لهؤلاء المخالفين مخالفات.

ومن ناحية اخرى نتوجه الى السلطات المحلية العربية لتعيين مراقبين للصحة وظيفتهم مراقبة هؤلاء الاشخاص ومخالفتهم واجبارهم على تنظيف النفايات التي قذفوا بها بأيديهم.

ومن ناحية اخرى اريد ان انوه بأننا في بوابة الجليل قد توجهنا للشرطة من اجل التعاون معنا واقامة دورات توعية مشتركة من اجل الحد من انتشار هذه الظاهرة.. الا انه وللاسف لم نتلقَ اي رد منها بعد».

* المهندس يوسف خوري *

اما الدكتور جمال ياسين مدير قسم الصحة في بلدية شفاعمرو فيقول ان هذه الظاهرة قديمة وجديدة وكلما نقول ان الناس ستعي مسؤوليتها تجاه بلدها يظهر لنا العكس، اذ يزداد عدد الذين يقومون بهذه الاعمال غير القانونية، كأن الناس تعودت على ذلك. ونحن من جانبنا في قسم الصحة في بلدية شفاعمرو قمنا بتحرير مئات المخالفات ضد المخالفين للقانون لردعهم، ولكن للاسف لم تجد هذه المخالفات حتى الآن نفعا، ففي الآونة الاخيرة قمنا بجمع اكثر من (١٠٠) الف زجاجة بيرة فارغة في منطقة حرج شفاعمرو وعشرين الف طن من النفايات المنتشرة هناك بعد ان كانت ملقاة على جوانب الطرقات. لكن عندما عدنا بعد اسبوع واحد فقط، رأينا آلافا اخرى من الزجاجات الفارغة ملقاة تحت

(البقية ص٨)

لعبة "باربي" مؤذية للاطفال؟!

■ دراسة امريكية اظهرت ان هذه اللعبة تحتوي على نسبة عالية من مادة الرصاص. وتبين ان معدل هذه المادة في الدم وصل درجة الخطر لدى (٣) ملايين طفل امريكي.. وهذا يهدد اجهزتهم العصبية فينخفض الذكاء وتتلف خلايا المخ ببطء!

■ د. شكري عطاالله، الاخصائي في امراض الاطفال، يحدّثنا عن ذلك وعن خطر مادة «الكحل» والأواني المطلية بمادة الرصاص. ود. فياض شحيبر، الاخصائي في علم المواد المسمّمة، يتحدث عن الرصاص كمسبّب اساسي لتلوث الهواء!

* في اعقاب دراسة أعدتها منظمة «السلام الاخضر» الامريكية لحماية البيئة، ودلت على ان اللدائن التي تصنع منها لعبة «باربي» تضم نسبة عالية من الرصاص. تتفاعل في درجات الجو العادية وتنتقل الى الطفل فتسبب له اضطرابات في مستوى الذكاء والارق.. وايضا العقم.. اصدر المركز الامريكي لمكافحة الامراض تحذيراً أثار بعض التخوف لدى الامريكيين بشكل خاص. وسكان الدول التي تستورد كميات هائلة من هذه الانواع من اللعب وخصوصا دول الخليج. الأمر الذي قد يكون سببا لانزال هذه العروس الامريكية عن عرشها الذي تربعت عليه منذ سنوات.

ونحن هنا في اسرائيل. لسنا بعيدين عن خطر هذه اللعبة التي نجدها بكثرة في الحوانيت والمجمعات التجارية والبيوت. وهي لا تقتصر فقط على دمية الفتاة الجميلة والانيقة، فقد ابتكر اصحاب هذه اللعبة، أنواعا مختلفة لزيادة ربحهم، فصنعوا دمية الشاب الجميل المرتدي ملابس انيقة سعرها يفوق سعر اللعبة، نفسها بالاضافة الى العريس الانيق الى جانب عروسة الفتاة الشقراء الساحرة برشاقة قوامها. ولم ينته حد صناعة هذه اللعبة هنا، فقد ابتكرت الشركات المختلفة بالاضافة اليها.. ادوات منزلية وكل ما «تحتاجه» الفتاة (اللعبة) خلال اليوم.. وكل هذا باسعار باهظة تفوق كل اسعار الدمى الموجودة في السوق.

وفوق كل الخسائر التي يتكبدها الاهالي لتلبية رغبات اطفالهم، نجد ان هذه اللعبة قد تكون مؤذية، وكأن اطفالنا يلعبون برصاص قد يؤذيهم كل لحظة.

ونحن بطرحنا هذه القضية، لن نتطرق الى تفاصيل صناعة هذه اللعبة، فسر المهنة نجده هناك، حيث تصنع في بلاد العم سام . ولكن نعتمد في حديثنا على نتائج بحث منظمة السلام الاخضر حول خطورة الرصاص وتأثيره على الانسان وخصوصا الاطفال، خاصة وان التحذير الذي خرج من المركز الامريكي لمكافحة الامراض، في اعقاب البحث عن الباربي اكد على ان معدل الرصاص في الدم وصل الى مستوى الخطر عند (٣) ملايين طفل أمريكي، مما يؤثر على الجهاز العصبي للطفل. وتربط الدراسات بين مستوى الرصاص وانخفاض مستوى الذكاء وتلف خلايا المخ ببطء.

وماذا مع "الكُحل"؟

في اسرائيل سبق واجريت دراسة خاصة في مستشفى الكرمل في حيفا، حول الرصاص ومدى تأثيره على الاطفال، وقد اجريت الدراسة على اطفال من حيفا، امهاتهم لا تضع لهم الكحل على أعينهم، واطفال آخرين من دالية الكرمل وعسفيا، تضع لهم امهاتهم الكحل على العيون كعادة متبعة.

وكما يقول د. شكري عطالله، اخصائي امراض الاطفال، فان «نتائج الدراسة دلت على ان نسبة الرصاص لدى اطفال دالية الكرمل وعسفيا كانت اكبر بعشرة أضعاف مما لدى بقية الاطفال، وذلك بسبب استعمال الكحل الذي يحتوي على مادة الرصاص».

وفي المجتمع العربي، وكما يفيدنا د. عطالله، فان مشاكل صحية عديدة عانى منها المواطنون قبل سنوات، بسبب وجود نسبة عالية من الرصاص في الجسم نتيجة استعمال اواني الطعام القديمة، والتي اكل الدهر عليها وشرب، ويضيف: «هذا الامر ما زلنا نلاحظه بشكل خاص في القرى البدوية التي تستعمل ادوات الطبيخ النحاسية المطلية بالرصاص، فهذه بعد ان تستعمل لفترة طويلة تبدأ تشكل خطراً، إذ تؤدي الى تركيز عالٍ للرصاص في الطعام، وقد ظهرت عدة حالات تسمم بالرصاص وخصوصا عند الاطفال».

ويشير د. عطالله الى ظاهرة «البيكا» التي تشكل مصدر تسمم بالرصاص لدى الاطفال الذين يضعون في افواههم كل ما تطوله أياديهم من أوساخ وتراب.. وكذلك، تقشير دهان الحيطان والعبث ببقايا السجائر، فهذه المواد تحتوي على نسبة رصاص تؤثر صحيا على الاطفال». ويقول د. عطالله: «عموما الاطفال الذين يتعرفون هكذا يعانون من ضعف «الدم..

وعن الاضرار الصحية، لنسبة الرصاص العالية في الجسم، يقول د.شكري: «هذا يؤثر بشكل سلبي عند دخوله الجهاز العصبي لدرجة التسبب بالتخلف العقلي، اذ يظهر هناك نوع من الخلل في عمل الدماغ يؤدي بالتالي الى تلف في خلايا المخ، الامر الذي يؤدي الى تشويش في التركيز عند الطفل وفي التحصيل العلمي وكل ما يتبع اصابة المخ من سلوكيات. كذلك يؤدي الرصاص الى فقر دم عن طريق ابطال مفعول مواد تساعد على زيادة عدد كريات الدم الحمراء، وهذا قد يسبب اصابات في الكلى».

الرصاص.. الملوّث الاساسي للهواء!

اما د. فياض شحيبر الاخصائي في علم المواد المسممة فيقول: «المصدر الرئيسي لتلوث الرصاص في العالم اليوم، هو صناعة النفط. فهو يضاف الى وقود السيارات ويتحول الى مواد غير عضوية على شكل اكاسيد وبروميدات وكلها في الجو تتحول الى كربونات الرصاص، وهذا يمثل (٩٥٪) من مصادر تلوث الهواء. وبما ان هذه الجزئيات صغيرة جدا فهناك امكانية لأن تنتشر وتنتقل من مكان الى آخر والى مسافات بعيدة.

وفي العالم كما يقول د.شحيبر، تنتج (٦) ملايين طن في السنة من الرصاص. وصناعة البطاريات تشكل اكبر عملية لاستهلاك الرصاص الذي يُستهلك ايضا في صناعة الدهان وبعض مساحيق التجميل وأصباغ الشعر».

وحول كيفية، انتقاله الى جسم الانسان يقول د. شحيبر: «يتم ذلك عن طريق الفم، او الجلد احياناً قليلة، وفي داخل الجسم يصل الرصاص احيانا الى الدم مباشرة او بشكل غير مباشر، ويترسب داخل العظم والشعر. وفي حالة استعمال مواد مطاطية، اذا كان الرصاص فيها حرا، فقد يؤدي ذلك الى خروج جزء من الرصاص من هذه المواد فيلوث الايدي، واذا وضعت المادة على الفم فان جزءا من التلوث يدخل الى الجسم. وبالامكان ان يدخل الرصاص عن طريق اللمس من خلال الجلد».

ومن اعراض التسمم، فاذا كان قاسيا يقول د. شحيبر يؤدي ذلك الى انخفاض «الهيموغلوبين» والامساك والشعور بألم حول السرة وتحتها وببرودة وشحوب باللون وتصبب عرق وشعور بالتقيؤ وصداع وآلام تشنجية. اما في حالة التسمم المزمن، فان المريض يصاب بانهيار في القوة وتبلد فكري، يصل حد التخلف العقلي وعدم المقدرة على التركيز وضعف الذاكرة.. وحالات انجذاب رأس ورعشة، واحيانا الاصابة بالصمم وفقدان النطق او البصر».

وأشار د. شحيبر الى ان هناك علاقة بين تراكم الرصاص وحالات التشوه الخلقية اذا حدثت لدى الأجنة، او امراض عصبية وقال: «الرصاص يعوق نمو خلايا الدماغ ويقضي على خلايا الاعصاب عند الاطفال في جيل اقل من ست سنوات».

وينصح د. شحيبر بعد تناول طعام او شراب بواسطة الفخار الذي يحتوي على مادة الرصاص، باجراء فحوصات دم لمعرفة نسبة الرصاص لدى الاطفال حتى جيل (٦) سنوات كل ستة اشهر. وابعاد الاطفال عن الاماكن الملوثة والمناطق الصناعية

في الشرق الاوسط.. وخاصة دول الخليج

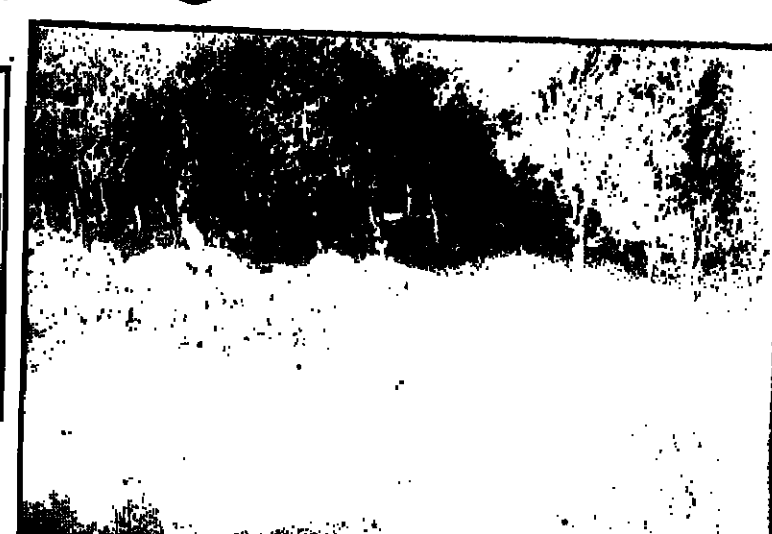
(١,٥) مليار دولار.. تكاليف دمى الاطفال!

* الدراسة التي أعدتها منظمة السلام الأخضر الامريكية، ودلت على خطورة استعمال لعبة «الباربي» للاطفال، دفعت بلدية دبي في دولة الامارات العربية الى اتخاذ اجراءات سريعة للحصول على جميع المعلومات التي توصلت اليها المنظمة. فأقامت لجنة خاصة لتقصي الحقائق حول الموضوع، خصوصا وان لعبة الباربي، تنتشر بشكل ملحوظ في الغالبية العظمى من البيوت هناك، وتمتلك جاذبية الصغار والكبار أيضا، الذين يشجعون اطفالهم احيانا على شراء دمى تملك جمالا خاصا.

والتخوف من هذه الدراسة جاء ايضا بعد ان تبين ان سوق منطقة الشرق الاوسط والخليج تنفق ما يعادل (١,٥) مليار دولار سنويا لاستيراد لعب الاطفال، وتحتكر شركة امريكية واحدة (٨٠٪) من هذه السوق، والتي تتخصص في صناعة الدمى وحبك الحكايات والشخصيات حولها. ودمية «الباربي» هي الابرز بين هذه الامى.

رفقاً بأمّنا الطبيعة!

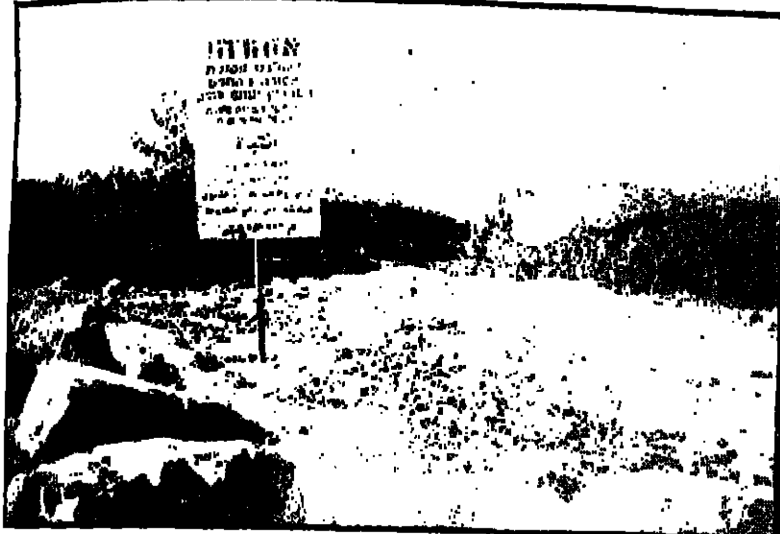
(تتمة من ص٥)



● أكياس قمامة في المكان غير المناسب ●



* الجامعية صمود صفوري *



● مئات الزجاجات الفارغة.. تحت شارة تمنع رمي النفايات! ●

الاشجار وعلى جوانب الطرقات. كما ان هناك كثيرين من المواطنين يقومون برمي النفايات على جميع اشكالها تحت اشجار الحرج مما يؤدي لتشويه المنظر الطبيعي ويؤثر على صحة المتنزهين، ونحن بدورنا كبلدية قمنا ببناء مجمع للنفايات على مختلف انواعها ودعونا المواطنين لقذف النفايات داخل المجمع وبشكل خاص الحيوانات الميتة وبقايا اللحوم كالكروش وغيرها، الا ان المواطنين لم يستجيبوا لطلباتنا. ونحن اليوم بصدد حملة اخرى لجمع النفايات من الاماكن العامة خاصة خلال فترة الاعياد، ولكن السؤال الذي نسأله نحن في قسم الصحة الى متى لا نجد اذنا صاغية لندا ماتنا؟ لذلك نتوجه للجمهور الكريم للمرة الالف بتحمل مسؤوليته تجاه بلده. وان قسم الصحة في بلدية شفاعمرو على استعداد للمساعدة بالتعاون مع وحدة البيئة (بوابة الجليل).

ونحن اليوم نعد لمحاضرات توعية عن طريق المدارس والمؤسسات علّ وعسى ان يتفهم الجمهور الكريم مسؤوليته ويعمل على الحفاظ على نظافة بلده ومتنزهاته والاماكن الطبيعية فيه».

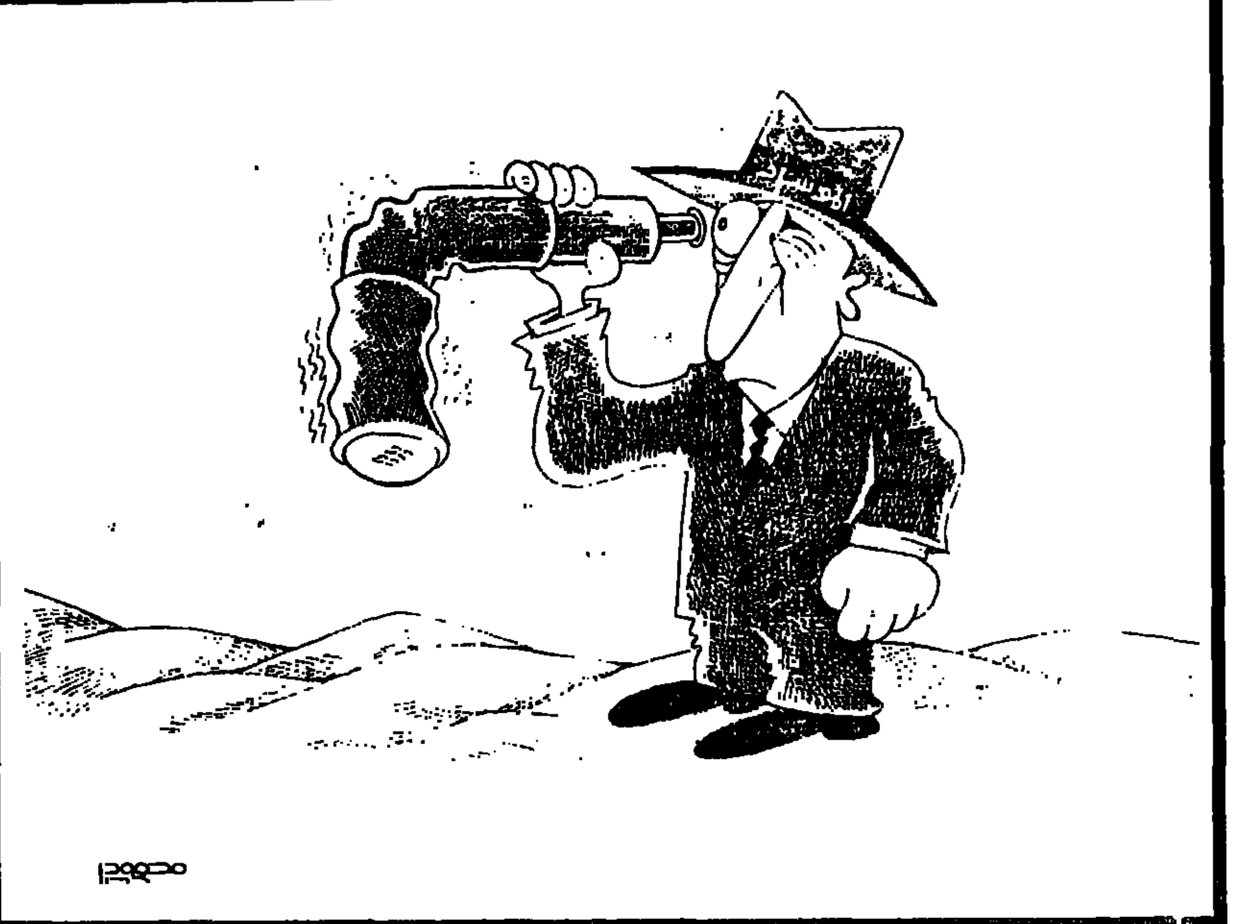
اما الطالبة الجامعية، صمود صفوري، فتقول «يجب علينا جميعا، كل في موضعه: الوالدان في البيت والمربي في صفه ومدرسته والتاجر في متجره والعامل في معمله والمتنزه في نزهته، التكاتف والتعاون لمنع ظاهرة التلوث وقذف القاذورات في الاماكن الممنوعة. ولما كانت البيئة للجميع لذلك يجب علينا الحفاظ على نظافتها والتمتع بجمالها لا بنفاياتها، والحرص كل الحرص على عدم قذفها ورميها الا في الاماكن المخصصة لذلك. وللاسف الشديد ما زالت مدينتنا شفاعمرو، على سبيل المثال، تعاني من قلة النظافة وتراكم النفايات ولكن الاكثر بشاعة قذف النفايات الضارة في الاحراج؛ لكثير من المواطنين الذين يختارون هذه الاماكن للتنزه يصدمون عندما يرون بأعينهم اكوام النفايات ويشمون روائحها مما يضر بصحتهم».

وبعد..

ان هذه الظاهرة ليست مقتصرة على منطقة شفاعمرو وحدها، فليست هذه الا عينة ونموذجا. ونظن اننا نعاني من هذه المشكلة في مختلف المناطق.

لذلك، وقبل اي شيء آخر، نقول ان على كل واحد منا ان يبدأ بنفسه، ويفكر بالموضوع.. فالكثيرون منا ليسوا «بلا ذنب»، ولنحافظ على الطبيعة كما نحافظ على انفسنا.

وكل عام وانتم بخير.



* سلمان ناطور *

الخطاب المهزوم والخطاب المنتصر

الخطاب العربي، دفاعي، متخلف وعشوائي وهو موجّه الى العرب فقط وليس الى العالم..



● من الاسئلة التي قد تثير حيرة المؤرخين بعد سنوات طويلة، ربما في نهاية القرن الحادي والعشرين، السؤال: كيف حدث في الشرق الاوسط، في منتصف القرن العشرين، ان دولة صغيرة مثل اسرائيل استطاعت ان تفرض وجودها في الشرق الاوسط وفي قلب العالم العربي الذي كان يعد اكثر من عشرين دولة وحوالي مائتي مليون انسان، ولم تكتف بهذا، بل استطاعت ان تفرض عليهم خطابا منتصرا دائما. وهم قنعوا بخطابهم المهزوم، كاستسلامهم للقضاء والقدر، الخطاب الاسرائيلي، هو خطاب منتصر لأنه مقنع وليس بالضرورة لأنه عادل، فهو لا يخضع لمقاييس الخطأ والصواب ولا العدالة المطلقة. ويسجل ان عام ١٩٤٨ كان شاهدا على ميلاد مقولتين تاريخيتين الأولى: مجحفة وذكية. والثانية: عادلة وغبية. فقد كان اجحافا تاريخيا رهيبا تشريد شعب عن وطنه ومسح معالم هذا الوطن، وليس هناك اي مبرر اخلاقي له، ومع ذلك فقد تفوقت اسرائيل في تحويل هذا الاجحاف الى مقولة مقنعة لا تعتمد فيها على ذكائها فقط، بل على غباء الطرف الآخر، وفرضت خطابا لا يقوم على العدالة، بل على قوة الحجة موظفة الحالة الكونية التي نشأت بعد الحرب العالمية الثانية وهي تقسيم العالم الى معتد وضحية، وفي ذلك الوقت كان مقنعا عرض نفسك كضحية للغبن التاريخي، وعليه يمكن انشاء سياسة تستحوذ على تأييد المجتمعات التي خرجت منتصرة من هذه الحرب.

كل الحجج التي ترد في الخطاب الاسرائيلي يمكن نفيها واثبات بطلانها، من حجة «الحق التاريخي والالهي» وحتى حجة «الحق الاخلاقي» التي حاول الكاتب أ.ب. يهوشواع تعميمها كنظرية اخلاقية في مطلع الثمانينات وهي ان الشعب اليهودي الذي دفع ثمنا باهظا في الحرب العالمية الثانية، يحق له البحث عن ملجأ آمن في وطنه التاريخي، حتى على حساب شعب البلاد الفلسطيني، كذلك حجة «الأمن الاسرائيلي» يمكن نفيها، لأن أمن أي مجموعة او شعب او دولة في اي بقعة من العالم، مشروط بأمن المجموعات الأخرى التي تعيش بين ظهرانيها، وقد ثبت في خلال نصف قرن ان الأمن العربي هو المهدد وليس الأمن الاسرائيلي، لا بل، هذا «التفوق الأمني» اجاز لاسرائيل القيام بخمس حروب والخروج منها منتصرة.

الخطاب الاسرائيلي المنتصر، هو خطاب هجومي، ومبادر، ويعتمد على الحداثة في الطرح السياسي، وهو مرن ومتغير، وهو مدروس وهادف. واما الخطاب العربي المهزوم فهو دائما خطاب دفاع عن النفس، ومتخلف وعشوائي وخال من اي هدف وفي معظم الاحيان، هو موجه الى العرب فقط وليس الى العالم، وهو تعبير عن مواقف انظمة وليس موقف أمة، ولذلك فهو ليس مقنعا، مع انه عادل واخلاقي في اساسه.

لا يستطيع العرب ان يبلوروا خطابا حضاريا مقنعا في اجواء من القمع والقهر التي يتعرض لها المواطن العربي في ظل انظمة تحرمه من ابسط حقوق الانسان، واذا كان هناك عدد من المفكرين العرب المنشغلين بدراسة العقل العربي، ويخططون لمشاريع نهضوية عربية فلا يمكن ان يؤثروا الا اذا طرحت قضية الفرد في المجتمع العربي، لقد استهلكت كل الشعارات القومجية الايديولوجية التي تتحدث عن الجماعة والتي غطت على مسألة الفرد ومصيره، وحان الوقت لاعلاء شأن الفرد العربي.

لن يتبلور خطاب عربي منتصر، الا اذا كان هناك فرد عربي محرر، والمهمة الملحة اليوم هي تحرير الانسان العربي من القيود المفروضة عليه ومن ثم تحريره من خطابه المهزوم باعادة الثقة الى نفسه، وبتكوين شخصيته المستقلة واغنائها بمضامين حضارية تراثية وحداثية، مهمة العرب التاريخية، على مشارف القرن الواحد والعشرين، ليست فقط مواجهة اسرائيل وامريكا والغزو الثقافي والسياسي الاجنبي، بل المهمة الاساس هي مواجهة انفسهم، ولا تؤجل معركة على حساب معركة اخرى، ولا يقدم نضال على حساب نضال آخر.

يستطيع اكثر من مائتي مليون عربي ان يجدوا الوقت والقدرة على مواجهة تحديات القرن الجديد، لكنهم لا يستطيعون ان يفعلوا ذلك بخطاب مهزوم، ولا بعقلية مقهورة.

* يحيى يخلف *

المبادئ والمصالح



* في نهاية الثمانينات، وبداية التسعينات، برزت في الحياة السياسية الدولية، نظرية تقدم المصالح على المبادئ، وذلك انطلاقا من التفاعلات التي بدأت تثيرها سياسة غورباتشوف، فيما سمي بعملية الاصلاح. عبرت هذه النظرية التي تقدم المصالح على المبادئ، في احد وجوهها عن انهيار اخلاقي ليس له مثيل، وعبرت عن رخص سياسي، وبؤس فكري، كان نتيجته الاطاحة بمنظومة فكرية ومعرفية وسياسية، وكان نتيجته الاطاحة حتى بمن يسمون دعاة الاصلاح، وعلى رأسهم غورباتشوف نفسه.

نظرية تقديم المصالح على المبادئ، اصبحت شجرة يستظل تحتها الانتهازيون والمتسلقون، من عاملين في حقول السياسة الى لاعبين على ملاعب الاقتصاد، وانتهاء بمتعاطين في مجالات الفكر والادب.

وما حدث في المؤتمر العام العشرين لاتحاد الادباء العرب، كشف عن ظاهرة انتهازية كانت موجودة في الماضي بشكل او بآخر، ولكنها في المؤتمر المذكور انضوت تحت اطار نظري دولي، ووجدت مرجعيتها في سلوك سياسي وفكري عالمي يفصل كل شيء عن الاخلاق والمبادئ، فأثناء بحث موضوع عضوية فلسطين في المؤتمر، كانت الكفة تميل لصالح رفع تعليق عضوية فلسطين، ولذلك عملت القوى الدافعة لشطب عضوية فلسطين الى المناورة وكسب الوقت وبدأت تجري مساومات لتغيير القناعات، والحصول على العدد الكافي من الاصوات، لتحقيق اهدافها بتجميد عضوية فلسطين. وكشفت النتيجة التي أسفر عنها المؤتمر خفايا ما جرى من مساومات، اذ انتخب رئيس الوفد الجزائري نائبا للأمين العام، كما انتخب رئيس الوفد العراقي نائبا ثانيا، وتقرر ان يعقد المؤتمر العام القادم عام ٢٠٠٠ في بغداد.

لقد حكمت مواقف هذين الوفدين، او على الأصح مواقف رئيسي الوفدين مبدأ المساومة، فالمصالح هنا تقدمت على المبادئ، والمصالح هنا صغيرة، وضيّقة، والثمن هو تغييب فلسطين، وشطبها من لوحة اتحاد الادباء العرب. والحقيقة ان من عملوا على شطب فلسطين كانت لديهم قناعاتهم، وكان يقف وراء مواقفهم اتجاه سياسي له مصالح في شق الساحة الفلسطينية، بل وفي دفع المثقفين الفلسطينيين نحو العزلة، وهي مواقف تجد لنفسها مرجعية سياسية وتنظيمية لا نتفق معها ونستنكرها، ولكنها موجودة كظاهرة في الحياة السياسية العربية.

اما اصحاب المواقف المتذبذبة، والذين ساوموا من اجل مصالحهم الفردية الضيقة، فلا نستطيع ان نفهمهم، ولا نستطيع ان نجد لهم الاعذار. لقد كانت الجزائر المكان البدائي الذي يوحد الشعب الفلسطيني ولا يفرقه، وكانت الجزائر وما زالت بلسم الجراح الفلسطينية، وكانت العراق نصيرا دائما للنضال الفلسطيني، وكان الشعب الفلسطيني وفيا لشعب العراق، ودفع الشعب الفلسطيني ثمنا غاليا في حرب الخليج عندما وقفت منظمة التحرير الفلسطينية الى جانب العراق، وقدمت منظمة التحرير المبادئ على المصالح، وبقيت متمسكة بمواقفها على الرغم من الخسائر الفادحة التي لحقت بها.

انطلاقا من ذلك، يحق لنا ان نستهجن هذه المساومة وان نستهجن هذه الصفقة التي عقدها رئيسا الوفدين الجزائري، والعراقي، في مؤتمر الادباء العرب، والتي خانا فيها قناعاتهما، وصوتا ضد عودة الوفد الشرعي الفلسطيني الى صفوف اتحاد الادباء العرب. ولحسن الحظ، فان نظرية تقديم المصالح على المبادئ تسللت على رؤوس اصابعها، ووقفت على رقعة ضيقة، في حين ان الذين تمسكوا بالمبادئ، ورفضوا المساومة كانوا يقفون على رقعة واسعة من ارضية فكرية وابداعية، وفي مقدمة هؤلاء، كان وفد مصر الذي ترأسه الكاتب الكبير جمال الغيطاني الذي كان له موقف مشرف، وقامة ثقافية عالية، وكذلك وفد المغرب الذي ترأسه عبد الرفيع الجواهري، ووفد موريتانيا الذي ترأسه محمد الهاشم، ووفد ليبيا الذي ترأسه علي فهمي خشيم، ووفد تونس الذي ترأسه محمد القاضي، فشكرا لهؤلاء الذين اكدوا ان الضمير الثقافي العربي لم يمت، وان جمرة الثقافة العربية ما زالت متقدة، وان فلسطين ما زالت مقدسة.

ما حدث في المؤتمر العشرين للأدباء العرب، كان صراعا بين الخطاب القومي الصادق والخطاب القومي الزائف، بين الخطاب الثقافي العقلاني الوطني وبين الخطاب الثقافي الذي يتغطى بالشعارات والجمل الانشائية، بين من يريدون تكريس الدمقراطية والحريات العامة، وبين الذين داسوا بطن الدمقراطية، وافرغوها من مضامينها، بين من يريدون الاتحاد العام للأدباء العرب منبرا للدمقراطية والتعددية والحوار الملتزم وبين من يريدونه اتحاد البعد الواحد، بين من يريدون ان يكون الاتحاد علامة بارزة في الحياة الثقافية العربية، وبين من يريدون تحويله الى طقم اسنان.

المؤتمر العشرون للاتحاد العام للأدباء العرب، اوصل الاتحاد الى طريق متعرج مليء بالحفر والمطبات، والحقه بالمؤسسة الرسمية العربية، فلا حول ولا قوة الا بالله.

• د. أحمد سعد •

□□ مع اطلالة العام الجديد:

حكومة تنهب البسمة واللقمة.. آن الأوان لغروبها!

● شتان ما بين التمني والواقع. فمن منطلقنا الايديولوجي حول طابع المسار التاريخي وحتمية التطور فاننا كشيوعيين حتى في أحلك الاوقات وأصعب الظروف لم ولا نلقي علم التفاؤل، ومن هذا المنظور فاننا مع اطلالة العام الجديد نأمل ان تتقدم خطوات في نضالنا العادل لما فيه خدمة المصالح الحقيقية لجماهيرنا العربية والشعب الفلسطيني وجميع مواطني بلادنا، أن تتقدم نحو السلام العادل الذي مركزه أقامة دولة فلسطينية مستقلة، عاصمتها القدس الشرقية والتخلص من رجس الاحتلال الاسرائيلي الجاثم على اجزاء من الاراضي السورية واللبنانية منذ ١٩٦٧ و ١٩٨٢، ان نتقدم في كفاحنا من أجل المساواة التامة، القومية واليومية، ومن اجل التقدم الاجتماعي.

ان التقدم لتجسيم آمالنا هذه يستدعي اولاً وقبل كل شيء تصعيد الكفاح للتخلص من حكومة الكوارث والمآسي السياسية والاجتماعية، من حكومة نتنياهو اليمينية، فرسالة الحكومة الاساسية لمواطنيها، اليهود والعرب، مواصلة سياسة نهب البسمة واللقمة في العام الجديد، مواصلة تصعيد وتعميق سياسة التمييز القومي والعنصري ضد الاقلية القومية العربية في البلاد.

أخط هذا التعليق يوماً قبل التصويت على اقتراح الميزانية الجديدة للعام ١٩٩٨، التي تعكس مؤشراتها «هدايا» الحكومة للسنة الجديدة، وسأركز على ثلاثة مؤشرات أساسية:

المؤشر الاول – العداء المنهجي للسلام وللعملية السياسية، ففي اقتراح الميزانية الجديدة لم يكتف أعداء السلام من أحزاب اليمين والمغامرة بأن النفقات المخصصة لوزارة الأمن والاستيطان الكولونيالي وسد الديون الخارجية التي معظمها لتغطية المشتريات العسكرية تؤلف حوالي ٦٠٪ من باب المصروفات في الموازنة الجديدة، بل ابتزت احزاب «المفدال» و«موليديت» و«الطريق الثالثة» و«تسوميت» من خلال الصفقات مع رئيس الحكومة، أكثر من (٣٧٠) مليون شيكل اضافية لتمويل توسيع وتكثيف الاستيطان الكولونيالي في المناطق الفلسطينية والسورية المحتلة، والمدلول السياسي لهذه الاضافة هو الانحدار عميقاً في دوامة جنون سياسي قد يؤدي الى انفجار كارثي رهيب في المنطقة، فمقابل زيادة المصادر التمويلية للاستيطان يكثف الاحتلال الاسرائيلي ويسابق الزمن في ممارساته الكولونيالية لنهب الاراضي الفلسطينية في الضفة الغربية، والسورية في هضبة الجولان، وهذا في وقت تماطل فيه حكومة نتنياهو وتتهرب من تنفيذ بنود الاتفاقات المبرمة مع الطرف الفلسطيني، ومن هنا فانها في وقت تنهب فيه البسمة من الفلسطيني فان حكومة اليمين بسياستها المغامرة تعمل نحو اسالة الدموع والدماء، اليهودية والعربية.

المؤشر الثاني: تصعيد سياسة التمييز القومي ضد الجماهير العربية في البلاد، فمعطيات الميزانية تعكس حقيقة ان هذه الحكومة، تمارس سياسة عدائية، منهجية ضد الجماهير العربية. فالجماهير العربية تؤلف حوالي ١٩٪ من سكان الدولة ولكن حصتها من الميزانية لا تصل الى ٢٪، وهنالك تراجع الى الوراء فيما يخصص للجماهير العربية من ميزانيات وفي جميع ميزانيات الوزارات المختلفة: ففي ميزانية وزارة التعليم وبالرغم من الازمة العميقة في جهاز التعليم العربي، فبالمقارنة مع ميزانية السنة الماضية هنالك تراجع، تقليص، بنسبة ٢٣٪ من ميزانية «برامج تطوير التعليم العربي»، وذلك اضافة الى التقليص بنسبة ١٩٪ في العام ١٩٩٧. وتقليص نسبة ١٥٪ في الميزانية المخصصة للعرب في ميزانية وزارة البناء والاسكان، وفي ميزانية وزارة الصناعة والتجارة، العرب غير موجودين وفق معطيات الميزانية المقترحة. والامثلة كثيرة.

والمؤشر – الثالث: مواصلة التدهور الاقتصادي والاجتماعي، فوفق معطيات دائرة الاحصاء المركزية والعديد من الاختصاصيين الاقتصاديين والاجتماعيين فان نسبة التنمية الاقتصادية في العام ١٩٩٨ لن تتعدى (١ – ١.٥) في المائة. وهذا يعني أنه اذا كانت نسبة البطالة المسجلة رسمياً ٨.٢٪ وأكثر من (١٥٠) الف عاطل عن العمل، فانه في «بحبوحة» الازمة الاقتصادية المرتقبة في العام الجديد ستصل نسبة البطالة الى ١٠ – ١٢٪ اي بين (٢٣٠ – ٢٥٠) الف عاطل عن العمل في سوق البطالة والمتاهة، والمدلول الاجتماعي لذلك هو زيادة حدة التقاطب الاجتماعي حيث سيصل عدد سكان تحت خط الفقر الى حوالي خمس تعداد السكان الى حوالي (٢٠٪) من مجمل عدد السكان في اسرائيل.

وفي وقت تخصص الحكومة حوالي (٧) مليارات شيكل كدعم وتسهيل ضرائبي لارباب الرأسمال الكبير فانها وفق اقتراح الميزانية تعمل بشكل منهجي لتوجيه الضربات الى فروع الخدمات الشعبية – التعليم والصحة والسلطات المحلية – والرفاه الاجتماعي، والتي تعني توجيه الضربة الى مستوى وظروف معيشة الاوساط الاجتماعية الفقيرة من اصحاب الدخل المحدود من العاملين ومتسلمي مخصصات التأمين والشيخوخة وغيرها.

ان سرد مدلول هذه المؤشرات وابعادها المأساوية المرتقبة لا نقصد من ورائه تصوير واقع اسود وقلب التشاؤم، بل نستهدف بالاساس شحذ الهمم لمواجهة التحديات الكبيرة والتجند لتصعيد المعركة الكفاحية لاسقاط حكومة الكوارث اليمينية والتقدم نحو السلام العادل والمساواة التامة والتقدم الاجتماعي.

* سهيل قبلان *

وغاب عام آخر!!

* في كتاب الزمن الميلادي، طويت صباح امس الخميس صفحة اخرى تحمل الرقم (١٩٩٧). وفتحت الصفحة رقم (١٩٩٨). ويحلو لنا في توديع عام واستقبال عام آخر، ان نقف لنلتقط أنفاسنا ونتلفت خلفنا، نلقي نظرة على مرحلة من العمر ونتساءل، ماذا فعلنا فيها؟ وماذا فعلت بنا؟ ما الذي حققناه وما الذي لم نحققه؟ ما الذي ميز العام المنصرم وكيف سيكون العام الجديد؟ فالارض تواصل دورانها الروتيني حول الشمس، نهار وليل وليل ونهار. قمر ونجوم وعشاق. ناس تنام وناس تنهض. احلام وطموحات وآمال. عقارب الساعة هي هي، تدور على ايقاع التكتكة، ومع كل نبضة تك، تموت فينا خلايا وتولد اخرى وهكذا رويدا رويدا نكبر ونشيخ ويتغضن جلدنا ويحفر الزمن فيه الاخاديد، فنطلق آهة حرى ونتحسر على زمن لن يعود.

وفي وقفة اخر العام وبداية العام الجديد، يقف الانسان متأملا، يقول لنفسه كلمات، يراجع الذات وشريط الذكريات، هناك من يصدق نفسه القول، يعترف لها، هل لبى رغباتها؟ هل تحكم بها ولجمها وسيطر عليها، ام انها تسلطت عليه وقادته كما تريد، بشكل اعمى ام بتروٍ؟ ما هي ذنوبها؟ هل اغتسلت وتطهرت بالمحبة ام تلوثت بالاحقاد وحب الذات والانتهازية والتعصب؟

وفي الوقت الذي يقف فيه الانسان مع نفسه مراجعا اهم المحطات في رحلة عام آخر من رحلة العمر، لا يمكن الا ان يتلفت حوله. فهو جزء من عائلة ومن اسرة ومكان ومجتمع وشعب. يتلفت حوله ويقول كلمات تعبر عما يجيش في داخله. وتتزاحم الافكار خاصة ان الاحداث كثيرة، تتسارع وتضج. ويحتار لمن يوجه كلماته وماذا سيقول فيها؟ ومن بين كل الافكار تنضج فكرة، تسيطر عليك وتشدك الى ابناء شعبك الفلسطيني الذين يقبعون في سجون الاحتلال الاسرائيلي. وتكون الكلمة الاولى لهم. اولئك الذين كافحوا وحملوا عبء القضية في ضمائرهم وقلوبهم وعلى اكتافهم، اولئك الذين مع الآلاف غيرهم، حولوا قضية الشعب الفلسطيني من قضية شعب لاجئ يسكن في الخيام، الى قضية شعب مكافح، مناضل، مصمم على انتزاع حقوقه وفرض وجوده وحضوره على خارطة الشعوب. وكلمات تنطلق بالنداء، الى الذين اخذوا على عاتقهم قيادة الشعب الفلسطيني، ان رسخوا الوحدة والتنسيق والعمل المشترك والمساءلة والاصغاء لنبض الشارع والإلتفات لشكل الممارسة وعدم التردد في الانتقاد الذاتي واعادة النظر في الاهداف وآليات العمل والتوقف عند الاخفاقات والانجازات. رسخوا الدمقراطية ومبادئ التعاون الجماعي.

وفي وقفة العام الجديد، كلمات تحمل التقدير والاحترام لاصحاب الاختراعات الجديدة من كل الشعوب، الاختراعات التي تساهم في تطور وسعادة البشرية. للمؤلفين الذين ينتجون غذاء الروح، من ادب ونثر وفن انساني، يعكس الهم الإنساني ويرسم طريق الخلاص من المآسي والكوارث والآلام.

كلمات حلوة للمرأة في كل مكان. والف قبلة ووردة حمراء لك يا اجمل الكائنات. فأنت النسمة العذبة الشذية الندية والواحة الخضراء في صحراء الحياة. انت الامل والنور في عتمة الحياة. انت القلب الرحب والصدر الدافئ ولمسة الحنان، انت نسغ الحياة واستمرارها وسر الوجود. لا تقبلي بقيود المجتمعات واصفاد العادات والتقاليد. كافحي وناضلي واصرخي ضد الاكراه الديني وضد تقييد وكبت طموحك. فجري طاقاتك وتدفقي عطاء كالانهار والنور الوضاء والتي تذيب القلوب بجمالها قادرة على تحطيم قيود كبتها بارادتها وعنفوانها. لقد قطعت شوطا كبيرا على طريق التحرر وانتزاع حقك كانسان كامل متكامل، فواصلي النضال بلا هوادة خاصة ان حشد الرجال المؤمنين بقدراتك وحقك في تكافؤ الفرص والمساواة في تزايد مستمر.

وكلمات الى الاطفال، نور البراءة في هذا الكون. وعندما نتذكر الاطفال تترقرق الدموع في المآقي، فرحا والما. الفرح بالاطفال السعداء الذين يرتعون بين الالعاب والمراجيح، يرفلون بالملابس الزاهية موردي الخدود ومنعمين بالسعادة. والالم والاسى والاحزان، على واقع ومصير عشرات وربما مئات ملايين الاطفال، في العراق وفلسطين ومصر والسودان والولايات المتحدة الامريكية وليبيا والهند وافغانستان واليمن وعشرات الدول الاخرى، يعانون اما من سوء التغذية او يموتون جوعا، يهيمون على وجوههم بدون مأوى، حفاة عراة، تفتك بهم الامراض والأوبئة. نتذكر الاطفال في العراق وليبيا وفلسطين، فتنطلق منا اللعنة والبصقة على نظامي امريكا واسرائيل، لكونهما المسبب في واقع هؤلاء الاطفال.

وهنا في بلادنا ايام كئيبة تمر علينا، فالتطرف اليميني يتصاعد

(البقية على ص ١٦)

* غازي ابو ريا *

حين اقلب صفحات التاريخ اجد نقاط ضوء لهذا العصر العربي او ذاك، لكن الخيانة والمؤامرة تواكب عصورنا كلها.. وتكاد تكون القاسم المشترك لكل حكم عربي. وقد حيرني هذا «المرض العربي» والذي استطاع الحاكم العربي علاجه دائما بسيف وسيّاف.

لكن الحاكم العربي في كل زمان ومكان لم يسأل نفسه.. لماذا يخون المواطن بلاده وشعبه؟ ما الذي ادى به الى ان يتعاون مع اعداء اهله ضد اهله؟! واسهل الاجابات ان نرجع سبب ذلك الى المال، او اي اغراء آخر.. وبذلك ننهي القضية!! ومع ان «الخائن» يحظى بمكسب مادي من الجهة التي قدم لها ما اضر بشعبه لكن من الضلالة تفسير الخيانة بما ناله الخائن.

وحتى ننطلق في الامر بشكل واضح، نبدأ من اعظم خيانة في التاريخ العربي الاسلامي، تلك الخيانة التي اتت على الخلافة العباسية في بغداد، حيث كان هناك في سنة ١٢٥٨م. خليفة مال الى اهل السنة اما وزيره فكان متعاطفا مع الشيعة واعطى الخليفة الضوء الاخضر لاعوانه بحملة همجية على الشيعة. نهبوا.. قتلوا.. سبوا.. وكل ذلك داخل خلافته الضيقة وفي عاصمته بغداد وراحت عيون الخليفة تراقب الناس لتنقض بعد ذلك على من قال كلمة يمكن تفسيرها بأنه يتعاطف مع الشيعة. واحس الوزير ان حبل المشنقة يضيق حول عنقه واعناق اهل بيته جميعا..

ولي نفس الوقت كانت جيوش التتار قد اكتسحت شرق العراق، لكنها توقفت عند ذلك متهيبة من قتال الخليفة لان الخليفة كان خليفة لغالبية بلاد المسلمين اسما حيث يذكرونه في خطبة الجمعة ولم يجرؤ التتار على حرب خليفة يملك ظهيرا جبارا!! هكذا خيّل للتتار.. ولمعت الفكرة بذهن الوزير اياه، وقرر ان يخون، ان يبيع الوطن والخلافة لكنه قرر ان ينقذ رأسه ورؤوس اهل بيته ايضا.. فأرسل الى ملك التتار رسائل كأنها الاقمار الصناعية والتقارير النفسية للناس والمعلومات العسكرية، وكلها تشير على ملك التتار بان بغداد لقمة سائغة.. واكتسح التتار بغداد واعملوا السيف بها. واستمر الوزير في منصبه وتنفس الشيعة بها الصعداء وطربوا على مقتل الخليفة والخلافة.. وفرحوا بحمام وثني يهتك اعراض اهل السنة ويذل من بقي منهم على قيد الحياة..

وكان عبء هذه الخيانة على مصر – كالعادة – وخرجت لتهزم التتار وتنقذ الامة العربية والاسلامية من مخلوقات بشرية همجية فهزمتهم في عين جالود، ولا يمكن احصاء عدد القتلى.. ولا يمكن التعبير عن آلام الناس يومئذ، ومعاناتهم.. وعن السبي والاعراض التي انتهكت.. والجوع والامراض. كانت كارثة رهيبة – وسببها ان اهل السنة كرهوا اهل الشيعة الى درجة القتل والعكس صحيح.. وفي مثلنا هذا.. اضبح المواطن الشيعي عدوا للخلافة حين شعر بان هذا الكيان يناصبه العداء.. هذا الكيان.. او هذه الدولة تتعامل معه كعدو.. فلماذا نلومه اذا تعامل معها بنفس الصيغة؟!

والخلافة الاموية، كانت عربية خالصة، لكنها لاحقت الشيعة في كل مكان. وقتلت كل رموزها الواحد بعد الآخر.. حتى مكنت احفاد العباس بن عبد المطلب – عم الرسول الكريم – من كره لها. فتعاون هؤلاء مع الفرس – وكان الفرس على انفة وثقة بالنفس وخلفهم تاريخ مجيد.. كانوا بانتظار لحظة النهوض على الحكم العربي الذي قبلوا دينه، لكنهم، لم يقبلوا الاذعان لحاكم اجنبي.. لا يقدم لهم اعتبارا ما.. وقاد ابو مسلم الخراساني الفرس.. وقاد السفاح جنود العرب الموالية لبني هاشم – وايدهم كل الذين سحقتهم الخلافة الاموية وفي طليعتهم الشيعة، وتمت الاطاحة باعظم امبراطورية اقامها العرب في التاريخ ودمر الهاشميون العرب دولة العرب ولماذا؟ لان الدولة الاموية قمعت حتى ابناء عمومتها.. لذلك لم يجد بنو هاشم عيبا في التعاون مع الفرس من اجل ابادة ابناء عمومتهم من بني امية ونبش قبورهم والتمثيل بها «وعفوا» عن قبر عمر بن عبد العزيز..

وفي نفس الوقت الذي استلم احفاد العباس الخلافة وبعد ان شعروا الامويين بدأوا في مذابح ضد اقرب الناس اليهم، وهم احفاد علي واشياعه وهكذا

(البقية على ص ١٦)

• فل وفلفل • يوسف فرح •

□ حكومتنا مثل الولد العاق، كلما دعونا عليها بالموت او المرض، غلظ جلدها وازدادت تمسحتها، و«فارت» صحة وعافية، وربما طال عمرها. تحارب طواحين الهواء في كل اتجاه وفي آن واحد، لا يهمها عرب ولا فرنجة. تتحدى حتى الكلب الرئاسي الذي تجمع العالم في ايجاد اسم مناسب له «بادي»! وتتحدى صاحبه كلينتون، بينما بعض زعماء العرب ربما يستغلون مناسبة التقائهم بأحد اقرباء «بادي» لسؤاله عن صحة «بادي» ورضاه عنهم!

تتعرض حكومتنا للهزائم والأزمات، الواحدة تلو الأخرى، حتى حق لها ان تسمى «أزمة محكومة» لا «حكومة مأزومة»! فالفول اذا كان الحب فيه أكثر من السوس، قلنا عنه «فول مسوّس»، فاذا كثر السوس على الفول، ماذا نقول!؟ فهل رئيس الحكومة سيء، ام ان الوزراء سيئون؟ ام هو نظام التجارة والسمسرة ومقايضة المواقف بالأموال هو السيء؟!

ولو ان الدعوات بالموت والمرض التي تصيب «صفحة» الحكومة تأتي من المعارضة فحسب، لقلنا هذه طبيعة هذه الأنظمة، التي تتباهى بدمقراطيتها! ولكن ما معنى أن معظم وزرائها ونوابها «يتمزعلون»!.

رغم ذلك تصمد حكومتنا، ولا يستقيل احد، لا وزير ولا نائب كنيست. والحق معهم، فأي عاقل يغامر بمنصب كهذا بكل ملحقاته: مكتب، سيارة، سائق، مساعدين، سكرتيرة، زعامة، ومعاش دسم يضمن مستقبلاً آمنا يرثه الخلف من بعد السلف!

مؤخراً وجدوا مالاً ينفقونه، لا على العاطلين المتشردين الذين يفكر بعضهم بالانتحار تخلصاً من فقر وجوع، بل وجدوا المال ليصرفوه على بناء حمّام في غرفة كل نائب كنيست! حراما فهم يتعبون كثيراً. يسافرون الى القدس، ويعودون منها بسيارات فولفو مكيفة ومستّرة. يناقشون، يرفعون اصابعهم مؤيدين او معارضين، وبعد هذا العمل «المضني» لا بد لهم من نشاطات ليلية مرهقة ايضا! أكثير عليهم حمامات في الغرف! أولغير شرائح الشعب عملهم!!

وهل كنت تستقيل لو كنت مكان احدهم!!

(٢) أين هذا الاسلام؟!

رغم قلة «فضاوة» حكومتنا، فهي فيما اعتقد، تجد الوقت لمشاهدة التلفزيون. وأظن رفول ابتهج «وشقرق بالضحك» لمشهد يعتقد صحته مسبقاً، ويسعى لايجاد ادلة الأثبات عليه، وقد وجد الدليل فهتف «اما قلت لكم؟!».

المشهد تراوح بين شيخين، احدهما استضافه التلفزيون الاسرائيلي، شجب الاعتداءات الانتحارية واستنكرها، لانها تصيب الأبرياء، فأشاح رفول بوجهه عنه، والثاني استضافه تلفزيون الـ m.b.c وهو عضو برلمان اردني سابق.

لم أكن على موعد مع هذا الشيخ، ولكن، ما كاد اصبعي يلمس كبسة الموجّه حتى سمعت: «الاسلام يحلل ذبح اليهود». للوهلة الأولى اعتقدت ان «فضيلته» يقصد ما كان يقصده بعض الطلاب المسلمين، حين كانوا يمازحون اترابهم من المسيحيين، بمعنى ان الأسلام يحلل ان يأكل المسلم مما يذبحه المسيحي. لكن الشيخ قصد ان الاسلام يبيح قتل اليهودي فعلاً لا أكل ذبيحته!

لم يقل ان الاسلام يدعو الى الجهاد ضد المستعمر او المستوطن او مغتصب الارض او سارق الوطن او هادم المنازل! ابدا بل قتل اليهودي لكونه يهودياً! وكأن الشيخ بشطارته وحكمته، كان مسلماً! ويقيني انه لو حُمل منذ طفولته الى دير بوذي او هندوسي، لكان بوذياً اوهندوسياً، أو أي شيء آخر عدا الاسلام! هذا المنطق، واستعمال بعض الألفاظ، «كالهالك» بدل الراحل او الميت، الا يحملان على الجزم بأن الشيخ مدسوس على الاسلام دساً!!

ألم يرد في التراث الاسلامي «الناس سواسية كأسنان المشط»!! ألم نتعلم «لا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى»!! فكيف يفسر الشيخ هذا الموروث الانساني العظيم!!

من يبدأ بالذبح يواصله. قد يبدأ باليهود، ثم ينتقل الى معتنقي المذاهب الأخرى، لكن النهاية الأكيدة تكون المشهد المأساوي الجزائري، الذي لا يستنكف المسلم فيه عن ذبح المسلم، حتى مع اطلالة غرة رمضان!

فهل هذا ما يقصده الشيخ!!

ولكن ما تغطية هذا المنطق الذباحي المرعب؟! اسرائيل هي المحتلة، وهي المغتصبة، والأقصى يجري الاعداد لهدمه (يبدو انه بلا رخصة من التنظيم!!) والعالمان العربي والاسلامي، مشتتا الأشلاء كتشتت الأفكار والمذاهب والمصالح والنزوات، فهل يبقى من هذا المنطق غير توفير مبرر لمزيد من القتل والهدم؟ والفلسطيني هو الضحية.

اظن رفول سجل هذه المهزلة في جهازه الفيديو، كي يواجه العالم بها معاتباً: «اتريدوننا ان ننسحب وامامنا مثل هذا الشيخ»!!

واخيراً، اذا كان زعيم الحركة الاسلامية في اسرائيل يستمد آراءه من الاسلام كدين تسامح ودين محبة، فهل الشيخ الاردني يستمد آراءه هو الآخر من نفس الاسلام؟ ام ان هناك اسلامين!

«واإسلاماه»!!

(٣) يوم تعليم...

وطويل ايضاً!!

والحكومة اقرت رغم مشاغلها الكثيرة اتباع يوم تعليم طويل في (٩٩) مدرسة عربية!

من منا لم يعان من جو ارهابي، او من معلم مرعب خلال فترة تعلمه القسرية! ومن منا

(البقية على ص ١٦)

الحياة الجنسية.. لدى الاطفال!

عندما يتحول الحديث الى همس، وتخفت الاصوات، ويلزم الكبار الصمت عند دخول الاطفال فجأة، فالحديث اذاً في اغلبه يدور حول الجنس. لكننا للاسف لا نأبه بأن لاطفالنا ايضا غرائز جنسية يعبرون عنها بطرق متعددة، مختلفة عما اعتدنا عليه نحن الكبار.

ان فهم العالم الجنسي لاطفالنا، مهمة ضرورية لكي نساعدهم على تجنب المشاكل والآلام، وربما الاضطرابات النفسية الكثيرة في المستقبل.

منذ لحظة الميلاد ونحن نحمل داخلنا كل صفات ذواتنا: الخير والشر، الذكاء، وعدم الادراك، الصحة والمرض، ونولد ولدينا الحس والشعور، الشم، الذوق واللمس، وتكمن داخلنا غرائز الجوع والجنس. عند البدء يكون الطفل حاملا لكل بذور انسانيته التي تنمو وتتكون وتتضح فتتساقط في الكبر ثمارا. فالاعتقاد السائد لدينا ان الاطفال هم منزهون وانهم يسبحون في بحر البراءة وان عالم الطفولة ملئ بكل ما هو مدهش ورائع بحيث يصبح فرحنا هائلا عندما نلحظ اكتشافهم شيئا جديدا او معرفتهم شيئا لم يعرفوه من قبل.

وبينما يرى الكثيرون ان عالم الطفولة هو عالم مفعم بالبراءة، فان بعض علماء النفس يرون ان اطفالنا ليسوا ابرياء كما نظن، فعالمهم مليء بالغرائز الجنسية والمشاعر العاطفية. لكن الفارق بيننا وبينهم، اننا نملك القدرة على تطبيق وتحقيق غرائزنا ومشاعرنا، اما هم وفي مثل هذا الجيل، فلا يقدرون على ادراك ابعاد مشاعرهم وغرائزهم. لذلك نراهم يعبرون عنها بأفعال اخرى قد تثير الدهشة فيما لو تعرفنا على حقيقتها، على الرغم من انها طبيعية الى ابعد الحدود.

يقول فرويد، العالم النفسي ومؤسس المدرسة التحليلية، ان الطفل يولد ولديه منذ السنوات الاولى لولادته استعداد خاص للجنس، وقد اصبح فرويد هذه المسألة وقال ان الاحاسيس الجنسية تولد مع الطفل طبيعيا، وقد خالف بذلك ما كان يعتقده الكثيرون، من ان الجنس يولد مع مرحلة البلوغ، اذ لا وجود اي شعور باللذة الحسية عند الاطفال.

حيث بين فرويد الحقائق الخفية عن الجنس في الطفولة لخصها فيما يلي:

ان الحياة الجنسية عند الاطفال تمر بثلاث مراحل:

١- المرحلة الفمية.

٢- المرحلة الشرجية.

٣- المرحلة القضيبية.

ففي المرحلة الاولى (الفمية) تظهر بدايات الاحساس الجنسي عند الطفل مع بداية مرحلة الرضاعة، التي تستغرق الانتباه استغراقا كاملا، لما تحققه من اشباع للغريزة والاحتياج الفطري الذي يستحوذ على حياة الطفل.

٢- المرحلة الشرجية: بعد مرحلة الاشباع للغريزة عن طريق الفم، تبدأ المرحلة الثانية حين تجعل الاضطرابات المعوية كالاسهال والتبرز والتبول الشائعة في مرحلة الطفولة من منطقة الشرج، مكانا للاستثارات الشديدة، حيث يعمد بعض الاطفال، وبشكل غير واع، للاحتفاظ ببرازهم داخل اجسامهم حتى يؤدي تراكمه الى احداث تقلصات عضلية عنيفة، فيثير مروره بالشرج، الغشاء المخاطي، اثارة قوية، وهو بذلك لا يتسبب في الالم فحسب، بل في الاحساس العام باللذة ايضا.

وهنا لا بد من التأكيد، على اهمية ان يقوم الاهل بتدريب الطفل بعد الشهر السادس، على عمليات الاخراج والتبول في مواعيد مناسبة، حتى لا يؤدي تعوده على الحصول على شيء من المتعة بهذه الطريقة، الى الاصابة بنوع من الشذوذ او العصبية، حيث يلاحظ ان بعض الاطفال يمتنعون عن الاخراج حيث يطلب اليهم ذلك، ويختارون الوقت الذي يروق لهم فيه القيام بذلك.

٣- في المرحلة الثالثة من مراحل النمو الجنسي، يبدأ الطفل بالتعرف على بعض اعضائه التناسلية، ولا يقتصر استعماله لها على التبول فقط، لكنه يبدأ بالعبث بها والنظر اليها واحيانا، يقوم باستعراضها دونما شعور.

وقد يتوجه الطفل احيانا بالاسئلة والاستفسارات لاحد ذويه، الذي تقع عليه مسؤولية تعريفه بالاشياء بشكل مبسط وواضح، لان السلوك النقيض من كبت او زجر سيولد لدى الطفل رغبة اكثر بالتمسك بعاداته، لتبقى الامور لديه غامضة، لانه لا يعرف للعيب او للتخجل مفهوما.

وفي هذه المرحلة يبدأ الطفل بادراك الفرق بين الذكر والانثى، وقد يتساءل عن سبب الاختلاف بينه وبين اخته، وتقع على الاهل مسؤولية التوضيح بشكل لائق، لان المراوغة في الاجابة ستؤثر مستقبلا على علاقته بالجنس الآخر بشكل يصل الى حد المبالغة.

بعد هذه السلسلة من تشكلات الاحساس بالجنس وتقريبا بعد السادسة من العمر، يخرج الطفل الى المجتمع وقد مر داخله بمراحل تطور للغرائز الجنسية،

واتنقلت عنده مواضع اللذة من الفم الى الشرج فالى الاعضاء التناسلية، ومن ثم تتخذ مرحلة الكمون لها مستقرا في حياة الطفل، حيث تكمن او تنام وتهدأ فيها الغرائز.

في هذه الفترة ينشط دور المجتمع بما فيه من الاسرة والمدرسة، في تعليم الطفل قواعد الضبط السلوكي والاخلاقي.

سن السادسة هي سن دخول المدرسة حيث تبدأ خبرات الطفولة في الانطواء، ولا يبقى منها الا شذرات قليلة من الذكريات المبهمة، وهذا النسيان لا يعني الغاء انطباعات الطفولة المبكرة الغاء تاما، فهذه الانطباعات تترك في حياتنا النفسية اعمق الاثر.

في مرحلة الكمون هذه يتقمص الطفل شخصية جنسه، فيتجه الولد للعب مع الاولاد كما تتجه البنت الى البنات، وهنا يظهر الميل للطاعة وتنفيذ الاوامر والخضوع لسلطة الاسرة والمدرسة.

وقد رأت الدراسات الاجتماعية التي اجريت على اطفال مرحلة الكمون، ان هذه المرحلة يتعاظم فيها دور السلوك المكتسب وليس الدافع البيولوجي، والسلوك يتأثر بالتنشئة الاجتماعية والقيم السائدة. ففي مجتمعاتنا العربية نلاحظ ان القيم السائدة تشجع الولد على الاندماج في الالعاب الخشنة التي تعتمد على القوة او العنف، مثل انواع السباقات في الجري او اللعب بالدراجات، بينما تميل البنت في ظل هذه القيم الى اللعب بالعروسة او التحدث الى صديقاتها.



وفي هذه المرحلة قد يقع الاهل في خطأ بالغ، فكثير من الامهات يعمدن الى تشبيه ابنائهن بالجنس المخالف او الآخر، فنرى الولد يلبس ملابس الفتيات او العكس، بحجة (انهم صغار لا يعقلون بعد)، كما ان الاهل يتركون نشاط الاطفال في مجال اللعب دون مراقبة او توجيه، على الرغم من ان اللعب احد اهم نشاطات الاطفال التي يعبرون فيها عن افكارهم ومدى فهمهم للمجتمع. ان الحياة من حولنا مليئة بالمتاعب والعديد من الاخفاقات التي لا يدرك اطرافها ان الجذور تكمن في مراحل الطفولة، وتشهد عيادات الطب النفسي قصصا وحكايات عن عذابات رجال وآلام سيدات، هي ثمن لسنوات الطفولة غير الصحيحة.

هنا لا بد من ادراج بعض الامثلة التي قد توضح بدورها الصورة وتكون عبرة في التربية القادمة، حيث تقول ام احد الاطفال ان ابنها ذا الثلاث سنوات يعمد للعبث بأعضائه التناسلية، وهو يعبث بها بتلقائية واحيانا يقوم بكشفها بين الناس، لماذا ؟؟

وتقول ام اخرى حيث تحولت الدهشة عندها الى انزعاج فابنها، الذي التحق بالمدرسة مؤخرا، لا يسمح لامه بالجلوس بجوار والده، ويصر في الليل ان يبيت معها في الغرفة، ويحتضن امه طالما خروج ابيه من غرفة النوم. كما ان عصبيته زادت عن حدها، فقد صار عصبيا عدوانيا، فقال الاطباء ان هذا مرجعه ان الام كانت قد فطمت ابنها بعد اربعة اشهر.

لكن الام لا تصدق تلك الاجابة وتظل تتساءل، هل يعقل الاطفال؟؟ هل يدركون مثل هذه الامور؟؟

وتقول طالبة جامعية: وان تعليمات الاهل في الصغر كانت صارمة وقاسية، حيث لا للعب الكرة، لا لركوب الدراجات، ولا... لا..لا، واول مرة عرفت فيها ان هناك شيئا اسمه الجنس، كان من الخادمة وعمري كان يومذاك ثلاثة عشر عاما. وعندما سألت امي صفعتني على وجهي وجلدتني من شعري، وطردت الخادمة من البيت، ومنذ ذلك اليوم ادركت ان الجنس شيء معيب ويشع ومليء بالغموض والتكتم.

لذا يعتقد علماء النفس، ان الانحراف الجنسي يتعلق بنوع معاملة الطفل في هذه المرحلة من ناحية سلوكه الجنسي، ان كان العملي او الكلامي او الروحاني.

ان دور التربية الجنسية هو تلافي وقوع الاخطاء في المستقبل لذا يجب عدم زجر الاطفال وتوبيخهم اذا ما اقدموا على سؤالنا عن الامور الجنسية، او قاموا بمثل هذه الاعمال، بل يجب علينا ان نجيبهم بلطف وهدوء متناهيين وان لا ندخل في تفاصيل الحياة الجنسية وانما نبين له الفروق البسيطة ونوضح له بشكل مقنع حتى نبني الثقة معه، ولوطد العلاقة في مثل هذا المجال حتى لا يخرج الى الشارع ليتعرف عليها بشكل لتخطوه، بما يكون له الاثر السلبي على نمو شخصيته من الناحية الجنسية. واذا ما قام الطفل على مرآنا بالعبث بأعضائه التناسلية فعلينا ان نعمل على اشغاله بأمور اخرى ولحدثه بمواضيع جانبية، دون ان يعرف ان القصد هو منعه من العبث بأعضائه التناسلية، كما يجب ان نشعرهم بعدم انزعاجنا من هذا العمل، بل اظهاره وكأنه امر عادي وطبيعي، لا حد في توبيخ الاطفال والصراخ عليهم تصرف سلبي، يدخل في نفوسهم

(البقية على ص ١٦)

الفراعنة أوصوا بالرضاعة الطبيعية

* التوصية بالرضاعة الطبيعية للطفل لفترة زمنية معينة - لما لها من فوائد نفسية وصحية على الطفل وامه - ليست بجديدة. فقد نادى الفراعنة منذ آلاف السنين بأحقية الطفل في الغذاء عن طريق الثدي. وقد اوجدوا بدائل لذلك في حالة عدم قدرة الأم على ارضاعه لمختلف الاسباب وذلك بأن يعهد بالوليد الى مربية مرضعة شرط ان تتوافر لديها شروط النظافة والصحة وقرب بيتها من بيت ام الوليد حتى تستطيع مشاهدته كلما أرادت ذلك.

ففي مصر اكتشف مؤخرا تمثال فريد في قيمته يؤكد الحرص على أهمية الرضاعة وهو لمرضعة فرعونية تحمل ثلاثة على صدرها ورضيعا رابعاً على قدميها وهو نائم.

هذه القطعة الأثرية تعود الى الدولة الحديثة في عهد الهكسوس عام (١٥٨٠) قبل الميلاد.

الازمات النفسية الشديدة لا تقل خطورة عن التدخين والكوليسترول

* نشرت مجلة الجمعية الطبية الامريكية لأمراض القلب نتائج دراسة حديثة بينت ان مخاطر الأزمات النفسية الشديدة، لا تقل خطورة عن التدخين وارتفاع كوليسترول الدم بالنسبة لتسبب الأمراض القلبية وأمراض الاوعية الدموية.

وقد جاءت هذه النتائج اعتمادا على البحث العلمي الذي اجري في المركز الطبي لجامعة بتسبرغ في ولاية بنسلفانيا الامريكية على (٩٠٠) رجل. حيث وجد أن الذين يتأثرون بالحالات النفسية والانفعالات العصبية يتعرضون بنسبة اكبر من غيرهم لتضييق وانسداد الشرايين السباتية (التي هي شريان رئيسي ينقل الدم من الابهر الى الدماغ ماراً بالعنق).

الاستعمال الخاطئ للكمبيوتر قد يضر بصحة التلاميذ

* حذر خبراء بريطانيون من أن صفوف الدراسة قد تتحول الى حقول ألغام بالنسبة للتلاميذ، اذا لم يتعلموا جيدا وبشكل سليم كيفية استخدام اجهزة الكمبيوتر.

وقد جاء هذا التحذير في المؤتمر الذي نظمه اتحاد النقابات البريطانية، الذي اشار الى أن أطفال المدارس يواجهون بشكل متزايد خطر الاصابة بأمراض وجروح بسبب الاستخدام الخاطئ للكمبيوتر. وأكد انه ليس المهم استخدام الكمبيوتر انما استخدامه بالشكل الصحيح. وقال الخبراء المشاركون في المؤتمر ان الاطفال قد يكونون ضحايا اذا لم يدركوا المخاطر المحتملة في استخدام التكنولوجيا الجديدة.

واشير ايضا الى ان عددا كبيراً من التلاميذ في المدارس البريطانية تعرضوا لمشاكل وآلام مزمنة بسبب الاستخدام الخاطئ. وقد انعكست عليهم حالات ارهاق وتعب في الأطراف التي تستخدم الكمبيوتر اضافة الى التوتر والاضطراب.

وتجدر الاشارة الى ان هذه الأخطار لا تقتصر على التلاميذ انما ايضا قد تصيب آخرين من مستعملي هذا الجهاز، الذي اصبح من الضروريات الاساسية للحياة العامة، اذا ما تم استعماله بالشكل الخاطئ.

رئيسة جمعية «نساء ضد العنف»، عايدة توما - سليمان، لـ «الاتحاد»

العنف ازداد بشكل عامّ.. اما الاعتداء على النساء فأحيانا ينال شرعية للأسف!

* قتلت في البلاد خلال العام ١٩٩٧، (٢٣) امرأة وفتاة بايدي الزوج او احد افراد العائلة، آخرهن الشقيقتان سماهر وميسلون محاجنة من ام الفحم. وكافة التقارير الصادرة عن خطوط الطوارئ ومراكز مساعدة ضحايا العنف والاعتداءات الجنسية، تدل على ارتفاع في عدد المتوجهات الى هذه المراكز للحصول على مساعدة.

فإلى مركز مساعدة ضحايا العنف والاعتداءات الجنسية في الناصرة وصل خلال السنة الاخيرة (٣٣٠) توجها، والى خط الطوارئ التابع لجمعية اسوار وصل (١٠٢١) توجه والى مركز مساعدة الضحايا في حيفا وصل (٤٠) توجها.

□ (٣٣٠) توجها وصل خلال السنة الاخيرة الى مركز مساعدة ضحايا العنف في الناصرة. (١٦٨) منها اعتداءات جنسية حدثت غالبيتها في بيت الضحية □ شُحّ الميزانيات يشكل عائقا امام مراكز مساعدة ضحايا العنف □

وتقول رئيسة جمعية نساء ضد العنف، عايدة توما - سليمان: «واضح جدا ان حوادث القتل كانت بارزة وخصوصا بين النساء العربيات، حيث في منطقة النقب لوحدها قتلت اربع نساء، ولكن لا يمكننا الجزم ان هناك ارتفاعا في ظاهرة العنف ضد النساء، الا انه من الواضح ان العنف بشكل عام في المجتمع ازداد.. وهذا بدون شك له انعكاسات على العنف ضد النساء، الذي، للاسف، يأخذ شرعية ما في احيان كثيرة».

وتشير توما الى ان الارتفاع بعدد الشكاوى ناتج عن زيادة الوعي عند النساء، والفتيات برفضهن العنف بكافة جوانبه وتقول: «خلال العام ٩٧، واصلنا ما باشرناه في العام ١٩٩٦ من برامج توعية وتثقيف، وقدم العديد من المحاضرات خصوصا بين الطلاب الثانويين ومجموعات نساء وصبايا. ولكن تبقى مشكلة شح الميزانيات عائقا امام العمل، فلا يمكننا عقد دورات تأهيل وتشغيل الخطوط بشكل اوسع، اضافة الى استنزاف الطاقات في تجنيد الاموال والميزانيات بدل تكريس الجهود لتقديم المساعدة والاستشارة».

احصائيات مركز مساعدة ضحايا الاعتداءات الجنسية في حيفا، الذي استقبل ٤٠ توجها، تدل على ان ٧٠٪ من المتوجهات تعرضن لاعتداء جنسي او اغتصاب من قبل الاقارب او من داخل العائلة.

والنسبة نفسها نجدها ايضا بين الضحايا اللواتي توجهن الى المركز في الناصرة، اذ ان (٧٠٪) من اللواتي تعرضن لاعتداءات جنسية وقعن ضحايا لاحد افراد الاسرة. فمن بين (٣٣٠) توجها هناك (١٦٨) ضحية (٥٠.٥٪) تعرضن لاعتداءات جنسية، (٦٩٪) منها نفذت في بيت الضحية، ومعظم الاعتداءات تتم في عمر ٨-١٨ عاما.

أما خط الطوارئ التابع لجمعية السوار الذي تلقى (١٠٢١) توجه لضحايا اعتداءات جنسية و(٥٤) توجها اثر ازمات اجتماعية اخرى، فان غالبية الاتصالات جاءت بمبادرة المعتدى عليها.

ويبرز بين جميع هذه المراكز النشاطات المكثفة من لقاءات ومحاضرات تثقيفية ودورات تأهيلية.

(امال شحادة)



كيف تعاملين طفلك.. اذا استعمل «المصاصة»

* اولا عليك ان تتذكري ان تهدئة الطفل لا تعني سد فيه.
* حاولي الا يكون استخدامها مجرد عادة لك او للطفل، واستخدميها بشكل انتقائي.
* لا تجعلي طفلا آخر يستخدم مصاصة طفلك، فهي طريقة لانتشار الامراض بانتقال الفيروسات والميكروبات.
* استخدميها بحدود فهي تساعدك على تهدئة وتسكين طفلك وليس التخلص منه.
* قللي من استخدامها مع نهاية العام الاول.
* اذا استمر في مصها بعد العام الاول شجعيه على عدم الكلام وهي في فمه وحاولي اقناعه بالتخلي عنها.

الموسم الفني المحلي لعام

■ ها هي الحلقة الثانية التي تقدمها جريدة «الاتحاد» في استعراض الاعمال الفنية المحلية لعام ١٩٩٧ والاعمال التي تجهز لعام ١٩٩٨، وذلك على لسان الفنانين انفسهم.. وكما يبدو فان الموسم الفني المحلي للعام المنصرم ما زال حاملاً، وباستطاعتنا ان نقطف منه اكثر من هاتين الحلقتين.. وسنعمل في جريدتنا قدر استطاعتنا لإيفاء كل فنان حقه، عسى ان يصبح هذا الاستعراض مرجعاً للسنوات القادمة، يعتز به كل فنان وباحث في الفن المحلي.

لذلك لدينا رجاء خاص لكل فنان، تعذر علينا الاتصال به لظروف معينة، ان يهاتفنا، أو يرسل لنا بطريق الفاكس استعراضاً لاعماله الفنية في العام الماضي واعماله التي يحضرها للعام المقبل.. رقم الهاتف هو (٨٥١١٢٩٦/٠٤) والفاكس (٠٤/٨٥١١٢٩٧).

وسنكون لكم شاكرين ■

(المحرر الفني)

■ [illegible] (مخرج)

* الاستمرار في عرض مسرحية «ليالي الحصاد» داخل البلاد وجولة في فرنسا * الاستمرار في عروض مسرحية «الجراد» التي اخرجتها ومثلت فيها ضمن مشروع تعاوني بين المسرح البلدي في طمرة ومسرح الكرمة * الاستمرار في عروض مسرحيدية «المعطف» والتي حصلت على الجائزة الاولى في أول مهرجان «مسرحيد»، وهي من تأليف اسامة مصري واخراج مكرم خوري * اشتركت في المسرحية الجديدة للاطفال ضمن اطار عملي في مسرح الكرمة بعنوان «جيران على الشجرة» من اخراج سليم ضو * اشتركت في فيلم «درب التبانات» مع المخرج علي نصار * سجلت بعض القصص للتلفزيون ضمن برامج الاطفال * اشتركت في مسرحية «شوق العواصف» للمخرج رياض مصاروة * قمت باخراج مسرحيتي «الكناس» و«عاصي في الشارع» للمسرح البلدي في طمرة * استعد للمشاركة في فيلم روائي للمخرج الفلسطيني رشيد مشهراوي والذي سيتم تصويره في تركيا والمناطق الفلسطينية *

■ ايهاب زحالقة (ممثل وكاتب مسرحي)

* اشارك في المسرحية الجديدة لمسرح الكرمة «جيران على الشجرة» المأخوذة عن «كليلة ودمنة» للمخرج سليم ضو * شاركت في عروض مسرحية «ليالي الحصاد» في البلاد وفي فرنسا ضمن مهرجان «الربيع الفلسطيني» * استعد للمشاركة في اعمال مسرحية لمسرح الكرمة * اعمل على كتابة مسرحيدية، سأمثلها في الموسم القادم * هناك اقتراحات للعمل في برامج تلفزيونية واعمال فنية اخرى اتمنى ان تنجح * تزوجت حديثاً وانتظر مولوداً *

■ رياض مصاروة (مخرج ومدير مركز ثقافي وكاتب مسرحي)

* قمت باخراج مسرحية «شوق العواصف» والتي افتتحت نشاطات شهر الثقافة والكتاب الذي يقيمه بيت الكرمة * اخرجت مسرحية «الباب العالي» وهي مشروع مسرحي فلسطيني - اردني - اسرائيلي مشترك، وسوف تعرض قريبا في الاردن بعد عرضها هنا في البلاد وفي مناطق السلطة الفلسطينية * ساصدر قريباً كتابا جديداً بعنوان «الحب والخطيئة» * اخطط لعمل مسرحي غنائي يتطرق الى قضية الشعب الفلسطيني * في المركز الثقافي البلدي في الناصرة حيث اعمل مديراً له اقمنا مهرجان الفيلم الفلسطيني، وكان اضخم عمل اقمناه في المركز، حيث استطعنا عرض (٣٦) فيلماً * اشرفت على العديد من النشاطات الفنية والثقافية في المركز على مدار ايام السنة * نحضر الآن لامسيات «ليالي رمضان» والتي ستستقطب مجموعة كبيرة من الفنانين والفرق الفنية المتنوعة * في مركز نشاطات العام القادم سيكون تطوير برنامج «ليالي الناصرة» ومهرجان السينما واسبوع الطفل، والعمل على عرض كل ما هو جديد في الانتاج المحلي * قدمنا في العام الماضي (٦) معارض تشكيلية في اطار جالري المركز الثقافي، ونعمل على أن نقدم في العام القادم (٦) معارض اخرى، الى جانب الندوات الفكرية التي تتناول في الاساس قضية الثقافة والهوية *

■ [illegible] ذياب (ممثل)

* شاركت في مسرحية «سائق الدراجة» من انتاج مسرح الغربال * وايضا للغربال في مسرحية «مدينة الاحلام» * وفي تقديم عروض لمسرحية «الطوفان» * حاليا اعمل على مسرحية «جيران على الشجرة» للمخرج سليم ضو * وفي مسرحية «ليالي الحصاد» بعد ان خرج منها الممثل اياد شيتي * وفي مسرحية «الجراد» التي انتجها المسرح البلدي في طمرة بالاشتراك مع مسرح الكرمة * صورت للتلفزيون (القناة الثانية) العديد من حلقات «جيني والقبطان» للاطفال *

■ اكرم خوري (ممثل وقريبا مخرج)

* مؤخراً اشتركت في مسلسل تلفزيوني درامي للقناة الاولى، بعنوان «مذكرات لوال» وسيبث قريبا * ما زلت ادرس فن الاخراج المسرحي في جامعة حيفا * خلال دراستي عملت كمساعد مخرج في مسرحية «صيد الساحرات» وقمت باداء مشهد صغير فيها * وقمت بادارة انتاج مسرحية «الرابع الثالث» والتي ستعرض قريبا في قاعة المسرح البلدي في حيفا * قدمت مجموعة عروض لمسرحية «عقود الكهنة» للسنة الرابعة على التوالي * شاركت في عروض مسرحية «دون كيشوت» لمسرح «جبينة» للسنة الثانية على التوالي * وايضا قمت بتغيير بعض الممثلين في عروض مسرحية متنوعة لمسرح «جبينة» * قمت بالدور الرئيسي في فيلم قصير من اخراج علاء حليحل ضمن افلام معاهد السينما * نلت الجائزة الاولى في مسابقة المشاهد الفردية في جامعة حيفا * احضر الآن لاعمال مسرحية في اطار دراستي للاخراج والتي انهيها مع شهادة مخرج في آخر السنة القادمة * قريبا سوف ابدأ باعادة اخراج مسرحية «نورا وصفوان» بشكل جديد يتلاءم مع فريق اصغر من الفريق الاساسي لها، وهي المسرحية التي كان مسرح الغربال قد شارك فيها قبل سنتين في مهرجان المسرح الآخر * هناك عدة اقتراحات لاعمال فنية مسرحية وتلفزيونية وسينمائية، اقوم بدارستها بحيث تتلاءم مع ظروف عملي ودراستي في الجامعة * في اطار المسرح الفيمنستي ساشترك قريبا في عمل مسرحي مع المخرج سيناي بيتر *

■ خليل ابو نقولا (مغني)

* شاركت في أحياء العديد من الحفلات الخاصة في البلاد والخارج * شاركت في مهرجان دعم القدس في مدينة الدوحة عاصمة قطر * شاركت في مهرجان الاغنية العربية الذي اقيم في معهد العالم العربي في باريس * شاركت في مهرجان رام الله الدولي * شاركت في مهرجان سبسطية الفلسطيني في نابلس * سجلت العديد من الاغاني للبرامج التلفزيونية المتنوعة * ايضا شاركت في برامج درامية كممثل

* ايهاب زحالقة *

* مكرم خوري *

* رياض مصاروة *

* سليم ضو *

* خليل ابو نقولا *

* مشهد من مسرحية «[illegible]» *

(٩٧) مــا زال حــامــلاً!

ومثل * للسنة القادمة تلقيت العديد من الدعوات للمشاركة في مهرجانات محلية ودولية * ما يشغلني الآن هو التحضير لاصدار شريط غنائي جديد بعنوان «طلة شمس» من تأليف وتلحين وتوزيع فنانين محليين *

■ ناظم شريدي (مخرج) ■

* في بداية السنة الماضية قمت باخراج آخر حلقات «مشوار الجمعة» للاطفال ضمن برامج التلفزيون التعليمي * انجزت سيناريو لفيلم سينمائي روائي طويل بعنوان «زمن القهوة المرة» واعمل على تجنيد الاموال له حتى استطيع تصويره في العام الجديد * قمت باخراج العديد من حلقات مسلسل «مسارات» * كتبت واخرجت مسرحية «الغلطة الاخيرة» لمسرح الغربال * اخرجت فيلم «فيديو كليب» للمطرب رائد كبها * قبلت عضوا لنقابة السينمائيين والتلفزيونيين في اسرائيل * قبلت عضوا في الاكاديميا الاسرائيلية لاختيار افلام الاوسكار الاسرائيلي * اخرجت مجموعة تقارير تلفزيونية باللغة العبرية للقناة الثانية * احضر لاخراج فيلم عن الناصرة بالتعاون مع بلدية الناصرة والتلفزيون التعليمي، مكان عملي الثابت *

■ سليم ضو (ممثل ومخرج ومدير فني)

* قدمت العديد من المشاهد الكوميدية في البرنامج التلفزيوني «دردشات» مع زهير بهلول * اشتركت في مسرحية «كوميديا الاخطاء» لشكسبير في اطار مسرح الكاميري * وايضاً في مسرحية «قتل» للمسرح نفسه، وهي من تأليف حانوخ ليفي * مؤخرا قمت باخراج مسرحية «جيران على الشجرة» لمسرح الكرمة، والذي اعمل به كمدير فني لفرقته المسرحية منذ سنوات عديدة * اخرجت مسرحية «المنافق» لموليير، باللغة العبرية، في مدرسة الفيتسو * وقمت بمرافقة فرقة المسرح التي اديرها الى فرنسا مرتين، في جولة عروض لمسرحية «ليالي الحصاد» * نظمت معرضاً تشكيليا للفنان والكاتب الفلسطيني محمود شاهين، الذي يعيش في دمشق حالياً، وقد استمر مدة (٣) اسابيع * احضر حالياً لمشروع سينمائي كبير، والذي ساتفرغ له كلياً، لكن الحديث عن تفاصيله ما زال مبكراً * هناك بعض المشاريع الفنية في اطار عملي كمدير فني للمسرح وايضا كممثل ومخرج، لكنها لم تكتمل حتى الآن *

■ نبيل عازر (مدير فرقة وموسيقي ومخرج)

* قمت باخراج العمل الفني الضخم «قطر الندى»، في اطار فرقة «يعاد» للانشاد، والتي اديرها واقوم بتلحين معظم اغانيها منذ تأسيسها * مؤخرا قمنا في الفرقة بانتاج «كومباك ديسك» يشمل جميع الاغاني والاشعار التي جاءت في «قطر الندى» * قدمنا العديد من عروض البرنامج القديم «فرغرودة كانون» * شاركت فرقتنا في عروض ضمن مهرجان قرطاج في تونس * على الصعيد الشخصي اشتركت في مؤتمر للموسيقى اقامته اليونسكو في اسبانيا كممثل عن الفرقة * ما زلت اشرف على ادارة فرقة «نداء» للانشاد في معليا، والتي جاءت اعضاء منها في عملي الاخير «قطر الندى» * شاركنا في اكثر من مهرجان في الاراضي الفلسطينية * اعمل حاليا على توسيع الفرقة («يعاد») بحيث تضم فرقتي عزف ومسرح الى جانب المغنين * تلقينا العديد من الدعوات للمشاركة في مهرجانات محلية وفلسطينية ودولية للسنة القادمة * هناك مشروع فيلم تلفزيوني لـ«قطر الندى» * بدأت بالتحضير لعمل مسرحي غنائي كبير، ولم احدد بعد هل سيكون لفرقة «يعاد» ام لا * احضر لاخراج عمل مسرحي بحت خال من الغناء والموسيقى *

■ فؤاد عوض (مخرج)

* اعمل على ادارة مركز الناصرة الحديث، والذي من خلاله اقمنا فرقة مسرحية جديدة لشباب مبتدئين، بحيث قدمت مسرحية «لوين شباب» * قدمنا في المركز ايضا العديد من النشاطات الفنية والثقافية المتنوعة * قمت باخراج عمل فني موسيقي مع الفنان وسام منير جبران * حالياً اضع اللمسات الأخيرة على مسرحية اقوم باخراجها للمسرح العربي في أسرائيل، بعنوان «عارض الكراكوز»، وبعد ايام ستشاهدون العرض الاول لها *

بالنسبة للعام المقبل فهناك الكثير من المشاريع منها مع مسرح «القصبة» الفلسطيني و«الخان» الاسرائيلي، وهو مشروع انجليزي-اسرائيلي-فلسطيني مشترك * احاول ان اقوم باخراج اول عمل مسرحي في أطار مركز الفنون الحديث في الناصرة، وهو من تأليف ادمون شحادة *

■ سمير خوري (مدير مسرح ومخرج)

* ادير مسرح مؤسسة «جبينة» منذ تأسيسها * عرضنا ضمن المسرح في العام الماضي مسرحية «دون كيشوت» والتي انتجناها خصيصا لمهرجان مسرح الاطفال الدولي في حيفا * ما زلنا نعرض مسرحيات «اليس في الطرقات العجيبة» و«الغزال الصغير» و«حافية في ساحة المعبد» و«بيضاء الثلج والاقزام السبعة» * انتجنا في العام الماضي برنامجا بعنوان «ساعة كيف» وهو عبارة عن مقاطع مسرحية مع حركة وموسيقى، وهو مخصص للاطفال المعاقين * إشتركنا في مهرجان مسرح الدمى الدولي السابع في القدس والضفة الغربية * نحضر للعام المقبل (٣) اعمال مسرحية، للروضات والبساتين، وللصفوف الدنيا في المدارس الابتدائية، وللصفوف العليا في الاعدادية * اخطط لعمل نشاط مسرحي جديد نستعرض فيه مراحل المسرح التاريخية، وايضا جميع المدارس المسرحية العالمية، وطريقة تناول هذا الفن لدى الشعوب بمرافقة محاضر وممثل *

■ محمد عودة الله (ممثل ومخرج)

* اخرجت مسرحية «لوين شباب» بعد ان ترجمتها واعددتها للمسرح، في اطار اعمال مركز الفنون الحديث في الناصرة، وقد قدمت عدة عروض في الناصرة وخارجها * قمت باصدار شريطي قصص للاطفال بمرافقة موسيقى ومؤثرات صوتية، الاول بعنوان «سنور بني سور» والثاني بعنوان «وردة الغابات» * حاليا اعمل في مسرحية «عارض الكراكوز» للمسرح العربي، من اخراج فؤاد عوض والتي ستشاهدون العرض الاول منها بعد ايام * اشتركت في البرنامج الموسيقي الشعري مع الفنان وسام جبران، حيث اخذت جانب الشعر، وقد قدمنا هذه الامسية في مركز الفنون الحديث في الناصرة * احضر لاخراج مسرحية جديدة تتناول قضية النساء المضروبات * اعمل على بناء مسرح خاص ومميز، نستطيع من خلاله تقديم جميع القصص عبر «مسرح خيال الظل» * هناك افكار عديدة لكنها لم تتبلور بعد *

■ محمود ابو جازي (ممثل)

* شاركت في فيلم «درب التبانات» للمخرج علي نصار، ابن قرية عرابة، والذي شارك في عدة مهرجانات دولية ومحلية، وحصل على بعض جوائزها * اشترك حاليا في مسرحية «عارض الكراكوز» للمخرج فؤاد عوض في اطار المسرح العربي، والذي اعمل معه للمرة الثانية، بعد ان شاركت في اول عمل مسرحي له «الملك هو الملك» * قمت ببطولة فيلم قصير بعنوان «تاج الشوك» في اطار افلام معاهد السينما * للسنة القادمة ما زالت الصورة غير واضحة امامي، وما زلت انتظر اقتراحات عمل *

■ سهيل حداد (ممثل)

* اشتركت في مسرحية «زقاق الكراسي البيضاء»، والتي تعتمد على الحركة والموسيقى اكثر من النص المسرحي، وذلك ضمن المسابقة الرسمية لمهرجان المسرح الآخر في عكا، وقد حصلت على ثلاث جوائز وهي: افضل مسرحية، افضل موسيقى، افضل اضاءة * شاركت في فيلم «درب التبانات» بحيث قمت بدور البطولة فيه، وهو دور مركب * اتابع عملي في التلفزيون التعليمي كمنتج للسنة الرابعة عشرة على التوالي، وحاليا احضر لانتاج فيلم وثائقي لسيرة المسيح حتى عام (٢٠٠٠) وفيه نصور كل الاماكن التي مر بها السيد المسيح * اما بالنسبة لاعمال قادمة اخرى، فلا اعرف ماذا يخبأ لي! *

* ناظم شريدي *

* فؤاد عوض *

* نبيل عازر *

* محمد عودة الله *

* محمود ابو جازي *

* سهيل حداد *

* خالد عواد *

* سمير خوري *

* مسرحية «ليالي الحصاد» *

«كل الاحترام لعربي لم يفكر بخيانة الوطن»

(تتمة من ص ١١)

استمر الحال حتى نهاية الدولة العباسية. كما انتهت اعلاه. وحسب تقديري ان عظمة الدولة العربية الاسلامية، استنزلت في حروب داخلية. ولو قدر لهذه الدولة ان يحكمها رجال مثل ابي بكر الصديق – لكان العالم اليوم يختلف كثيرا عن حاله الآن..

ولم نتعلم شيئا.. فالعراق مثلا.. تنفس الصعداء خطى نحو التقدم.. ثم بدأ معاركه الداخلية ضد ايران التي كنست حكم الشاه – ثم مع الاكراد ثم الكويت وخرج يحبو على أربع لا يجد الحليب للاطفال.. ويستغيث من اجل الدواء.. وما زلنا «نتعاطف» مع نظام العراق «نكاية» بالغرب واميركا بالذات..

الانسان هو المركز.. الفرد هو صاحب الوطن ووظيفة النظام ان يخدم الفرد.. الدولة.. الكيان.. الوطن.. كلها مؤسسات عليا مركبة من الاسر ولكل اسرة رب بيت – وهذا الرب يرى كل فرد مركزا لاهتماماته.. رب البيت لا يهمل مريضا – لا يبخل على فرد نجيب يحب العلم.. يقدم هذا الرب حسب امكانياته ما يلبي احتياجات الاسرة.. والدولة اسرة كبيرة وربها النظام.. ولا تختلف وظيفة النظام عن وظيفة رب الاسرة فلا يستغرب رب الاسرة ان هذا الفرد ترك البيت... وذلك ينتظر موته ليبيع الارض، وآخر اصبح مجرما...و...و وذلك اذا اهمل رب البيت افراد اسرته وانتبه الى نفسه فقط. وهكذا الدولة ايضا..

واقول، ليس لرفع المعنوية.. بل من باب الاستنتاج.. ان الامة العربية عظيمة جدا.. رغم كبت الحريات المتراكم عبر القرون.. رغم مصادرة حرية الفرد في التفكير والاكل واللباس.. رغم التعامل مع الانسان في وطنه كرهينة بيد الحاكم.. ودار الافتاء، الحاكم السياسي يضغطه سياسيا وفكريا ويسلبه حرية مدنية والمفتي يضغطه ويفرض عليه السلوك الذي يرسمه.. وكل حركة الى اليمين ترسله الى مقصلة الخيانة.. وكل حركة الى اليسار تقدمه الى السياف لكفره. رغم ذلك.. ما زال في امتنا الكثير ممن يرفضون خيانة وطنهم وشعبهم ودينهم..عندما يسحق النظام فردا او جماعة، فكأنما يسلبه الهوية والانتماء. ويجعله هشا امام اي اغراء يوفر له الدعم المعنوي والاقتصادي، ويشبع غريزة الانتقام من النظام الذي سحقه او اهدر كرامته.

واذا كانت النفس البشرية جاهزة للانتحار احيانا ولاسباب اجتماعية او عاطفية او مالية.. فكيف يعز عليها قتل الآخرين اذا دفعت الى زاوية ضيقة من اليأس والاحباط والكبت؟!

وليس صدفة ان المخابرات الاسرائيلية قادرة على اختراق اية دولة عربية وأية مؤسسة او اي مجلس وزراء عربي وليس صدفة ان الدول الغربية يستعصي عليها فعل ذلك مع اسرائيليين.

ولو بسطنا الامور اكثر، وانتبهنا الى العامل الذي يجد ظلما وتحقيرا من صاحب العمل تراه متأهبا لساعة تمكنه من التخريب على صاحب العمل ما استطاع.. وعلى عكسه ذلك العامل الذي يوفر له صاحب العمل اسباب الطمأنينة ويتعامل معه باحترام.

وقد لا يكون الحاكم دافعا لخيانة البعض بل المجتمع بغالبيته.. اذا حاول كبت جماعة فكريا.. ولا ارغب هنا ان اكون محامي الدفاع عن الخونة عبر تاريخنا.. فهم يستحقون العقاب وبكل قسوة.. لكن على النظام والشعب والكتاب ان يفكروا في ازالة اسباب الخيانة، واذا كانت القوانين الدينية والدنيوية تعاقب السارقين.. لكن من الخطأ ان نفرض الجوع على فرد ثم نستغرب بعد ذلك ارتكابه جريمة السرقة.

ومشكلتنا اننا لا نتعلم من تجاربنا اطلاقا، وليس بالصدفة انني اسرق امثلة منذ عهود عربية بعيدة.. والجواب لاننا لا نعترف باخطاء الماضي.. بل العكس.. نزين لانفسنا صدق علي وعائشة في حربهما. وهذه الحرب تعطي شرعية لما يدور على ساحة الجزائر المنكوبة بالفتنة، ونرسم هالة مقدسة حول الخلفاء جميعا دون استثناء، مع ان الخلفاء جميعا بعد عمر بن الخطاب.. دخلوا في معارك داخلية عطلت الفكر العربي والاسلامي.

وغاب عام آخر!!

(تتمة من ص ١٠)

والعنصرية العلنية تحمل في احشائها بذور وملامح الفاشية. الاحقاد تتعمق والكراهية تقتل المحبة وتعمي القلوب والعيون، شهوات التوسع والاستيطان.

الهذيان الذي يتملك جماعات المتطرفين والمتجسد بامكانية هدم المسجد الاقصى واقامة الهيكل الثالث مكانه، ذلك الهذيان اخطر من قنبلة ذرية كبيرة، والانكى من ذلك الهذيان وجود معاهد ومخططات جاهزة واموال ومرشدين وحاخامين، يعدون لتحقيق الحلم الجهنمي بتشجيع من قوى في الحكومة والكنيست!!

اسرائيل تسير في طريق مسدود، والقوى التي بامكانها فتح الطريق الى آفاق المستقبل الآمن، محاصرة بتطرف اليمين، تتخاذل امامه، تغازله تنافسه احيانا في التطرف، تتجاهل تلك القوى من الائتلاف والمعارضة، ان الطريق الموصود يسده رفض الشعب الفلسطيني للهزيمة ومحاولات انكار وجوده والتحكم بمصيره وقمع طموحاته وتطلعاته. والسؤال الذي يطرح نفسه، ما هو الوقت الذي نحتاجه والثمن الذي سندفعه، حتى تقتنع اسرائيل، ان فتح الطريق امامها الى المستقبل لن يكون الا بالغاء الرفض الفلسطيني. والغاء الرفض الفلسطيني مشروط بالانسحاب الكامل من المناطق المحتلة والاعتراف له بحق تقرير المصير واقامة الدولة المستقلة وعاصمتها القدس العربية وفك كل المستوطنات.

وفي نهاية العام وبداية العام الجديد، كلمات تفيض حبا وعطفا ورحمة على روح والدي الذي اسلم الروح في (٩٧/٧/٢٦) بعد حياة حافلة بحب الارض والحياة. لقد توفي جدي ووالدي في الثانية من عمره. وفي التاسعة من عمره بدأ بالعمل في الارض، تشبث بها حتى آخر يوم في حياته. ومن وعر وصخر، طوعها وحولها الى كروم غناء معطاءة مجبولة بالعرق والحب، فنم قرير العين يا والدي، فالارض لا تزال على عهدك بها ونحن حماتها من بعدك.

الحياة الجنسية لدى الاطفال!

(تتمة من ص ١٢)

الرعب والفزع، وتقوية شعور الخجل عندهم، ومن المعروف ان خجلا مبالغا فيه، والخوف والتوتر المتعلق بالاعضاء التناسلية، له تأثيره عند الكبر على شخصية الطفل، ويمكن ان يؤدي الى الضرر او السلبية في اداء الوظيفة الجنسية في المستقبل. فحذار حذار.

في هذه المرحلة يقف الطفل امام اكتشاف ذاته، ويتركز اهتمامه بنفسه وبما يدور حوله. فيكون فضوليا محبا للاستطلاع، فنرى الاطفال يلجأون الى اللعب الجنسي وذلك بان يقوم احد الاولاد بدور الاب او العريس، واحدى البنات بدور الام او العروس، والهدف من هذه اللعبة هو تفحص اجسام بعضهم البعض، او تفحص الاعضاء التناسلية لملاحظة الاختلاف بينهما. واحيانا يقوم احد الاولاد بدور الطبيب واحدى البنات بدور المريضة، ويجري عليها الفحوص او بالعكس. كل ذلك حبا في المعرفة والاطلاع على الفروق بين الاعضاء التناسلية للجنسين.

ولكن عندما يكبر الطفل ويصبح من العمر ثلاث سنوات، تتوجه ميوله الجنسية الى خارج جسمه، الى الوالدين. فيميل الولد الى حب امه والبنت الى حب ابيها، ويلاحظ الارتباط الشديد للولد بأمه، والبنت بأبيها. وكثيرا ما نسمع الاولاد يقولون: «عندما اكبر سأتزوج ماما». ويرى الطفل بأبيه منافسا له على حب امه، فيميل الى كراهيته، كما ترى البنت بأمها منافسة لها على حب ابيها، وتميل الى كراهيتها، وتنظر كل ام الى نفسها فيما لو رأتها ابنتها البالغة من العمر ثلاث او اربع سنوات، كيف سيكون رد فعلها، وكيف ستضربها او توبخ امها ببعض الكلمات البسيطة التي قد لا تعني شيئا بالنسبة للام او الاب، الا ان المشكلة تنبع وتبدأ منذ هذه اللحظة. ان هذا الصراع القائم في نفسية الاطفال، هو ما أطلق عليه فرويد «عقدة أوديبوس» عند الاولاد «وعقدة الكترا» عند البنات.

ففي هذه المرحلة يمر الطفل بأزمة نفسية فهو يكره اباه ولكن في نفس الوقت يحبه كما ان البنت هي ايضا في ازمة نفسية اذ انها تكره امها وفي نفس الوقت تحبها، ونتيجة لذلك يشعر كل منهما بالذنب ووخز الضمير نتيجة هذا الخيال والتفكير.

ومن اعراض هذه الازمة، قد نلاحظ ان الولد يتمنى موت ابيه، وتتمنى البنت موت امها، وذلك من اجل التخلص كل من منافسه لافساح المجال امامه. وربما يزيد في هذه الازمة، انه في نفس الوقت الذي يتمنى كل واحد من الاطفال موت ابيه او امه، فان كلا منهما يحب والديه، ولا يريد التخلص من يحب واذا فهما في صراع نفسي صعب، حائران لا يدريان ماذا يفعلان او ماذا يريدان؟! وفيما في قلق وصراع دائم، في توتر وخوف، [illegible] ان الاجحاف من هذه الازمة، [illegible] الطفل ذكرا كان ام انثى يكثر من طلباته ثم يرفضها لأنه يضغط في دوامة ولا يدري كيفية التصرف وما هو الاستقرار النفسي.

فعلى سبيل المثال يطلب ان ينام ثم يرفض النوم، ويطلب من ابيه ان يقص عليه قصة قبل ان ينام، وكذلك البنت تطلب من امها، كل ذلك من اجل التهرب من الافكار والقلق اللذين يساورانهما، ثم بعد ذلك يرفضان طلباتهما ويستبدلانها بطلب آخر وهكذا. انهما عديما الاستقرار في توتر وقلق، كل ذلك بسبب العقدة النفسية التي يمران بها.

ان عقدة «اوديبوس» عبارة عن عملية ايجابية في نمو الطفل، ومن الجدير بالذكر ان هذه الازمة التي يمر بها الطفل تجري دون معرفة منه، ولا توجد له سيطرة عليها، ومع الوقت يتحرر الطفل بطبيعته من هذا الصراع، فالطفل عندما يرى اباه منافسا له وفي حرب خيالية معه، في الوقت الذي يشعر انه بحاجة اليه، ويشعر بحبه له، كما ويشعر ان اباه اقوى منه ولا يستطيع منافسته، فيشعر بالخوف من عقابه، وكلما زادت ميوله نحو امه، يتخيل ان عقابه من ابيه سيزداد اكثر فاكثر. إن الخوف من هذا العقاب يؤدي الى ان يكبت الولد ميوله الجنسية نحو امه، ويكبت نظرة العداء لابيه، وبدلا من ان يتنافس معه، فانه يميل ويتطلع الى ان يكون مثل ابيه، الامر الذي يؤدي الى التعاطف معه، وتقمص شخصيته. وعن طريق التعاطف مع شخصية الاب، فانه يتقمص ويستوعب القيم من المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه، وهكذا يتحرر من الصراع النفسي.

اما بالنسبة للبنت فان شعورها نحو ابيها وتنافسها مع الام ليس قويا الى هذه الدرجة، كما هي الحال عند الولد، وذلك لان البنت لا تستطيع ان تتنازل بالمرة عن علاقاتها وارتباطها بالام، اذ هي التي تعتني بها وتهتم بكل ما ينقصها لذا فهي تميل الى التعاطف معها وتقمص شخصيتها ولا تريد ان تخسرها، فتسلك سلوك الام، وهذا التعاطف مع سلوك الام، هو الحل الايجابي لعقدة «الكترا».

من هنا نرى ان لعقدة «اوديبوس» و«الكترا» نتيجتين اساسيتين:

١ – تنمية الشخصية الجنسية: اي ان الولد يتبنى نمط سلوك الاب الذي يتلاءم مع جنسه (الذكر) والبنت تسلك سلوك الام الذي يتلاءم مع جنسها (انثى).

٢ – نتيجة التعاطف مع شخصية الوالدين (كل حسب جنسه) الاجتماعية والخلقية فان ذلك يؤدي الى ان يكتسب الطفل قيم الوالدين الاجتماعية والخلقية، ويسلك السلوك الايجابي المقبول في المجتمع.

هذا هو الصراع النفسي لدى الاطفال في هذه المرحلة، وهكذا يكون حلها الطبيعي دون ان يشعر الطفل بذلك.

في هذا المجال ينصح الآباء بمساعدة الاطفال للتخلص السريع من هذا الصراع النفسي، وذلك بالتقرب من الاطفال كل الى جنسه واشعارهم بالدفء والحنان، والاعتناء بهم من الناحية الصحية والجسمانية لما يساعد في حل هذه الازمة والتخلص من آثارها، وعلى الوالدين ان يعرفا مدى اهمية نمط سلوكهما على شخصية الطفل في المستقبل.

اما اذا لم تحل هذه الازمة النفسية، فانها تؤدي في المستقبل الى نهج السلوك الشاذ، فقد نجد ان الولد عند الكبر اما ان يمتنع عن الزواج او يتزوج من امرأة لا تختلف او لا تتصف بالمواصفات الملائمة له، والتي قد تطابق تخصيصها الشخصية ما يولد المشاكل العائلية في حياتهما، وهكذا الحال بالنسبة للفتاة ايضا.

(سخنين)

(*) [illegible] الاشارة في هذا المضمار ان للمدرسة التحليلية في علم النفس مؤيدين ومعارضين وان وجهة النظر حولها ليست وحيدة، خاصة فيما يتعلق بموضوع [illegible] الاطفال.

((الاتحاد))

«سوس مفوّل» لكنهم لا يستقيلون

(تتمة من ص ١١)

نسي منطق «اللحم للمعلم والعظم للأهل»! ومن منا لم يتمنّ في تلك الأجواء المكهربة ألا يترك هذا السجن الذي شبهوا الأم به «الأم مدرسة...»! فهل تغير شيء في عقليتنا ومناهجنا، واساليب تعليمنا، وقبل ذلك في أساليب تعاملنا مع الطالب كمادة انسانية وقيمة مستقبلية!

الا تعتقدون انه لو اعطيت الحرية للطلاب لكانوا القوا بحقائبهم بعيداً مدبرين خارجاً!!

اذا كنت ابالغ فصححوني، أما اذا كانت هذه هي الحقيقة، فلماذا لم نفكر في تقصير يوم التعليم رغمَ قصره اساساً! واذا كنا لا نقصره فلماذا نقبل بأطالته!! ألكي نوفر لحكومتنا فرصة الادعاء بأنها: «ها هي اخيراً تمنحنا بعض المساواة»!

لكننا رضينا بيوم التعليم الطويل فماذا اعددنا لفائدة اجيالنا؟!

اذا كان الطالب سيخرج من اطار تعليم رسمي (مكروه غالباً) لكي يلتحق بورشات او دورات (חוגים) يرغبها ويتمناها، كالرسم والدبكة والرقص والموسيقى، والرياضة بانواعها والتصوير، والصحافة والحاسوب والفضاء.. فذاك خير.

اما اذا كان الطالب سيخرج من حصة «ما صدق حتى تنتهي» ليدخل الى حصة مشابهة، ومعلم مشابه، فالفشل في انتظارنا. ومن الخير لنا ولأبنائنا ان نحول ميزانية المشروع الى مشروع اجدى وابقى. ولن نخسر شيئاً اذا أجلنا تطبيق البرنامج ريثما يتأهل بعضنا تأهيلاً مناسباً «لفعاليات طويلة» لا «لتعليم طويل» مع شكر حكومتنا على المشروع..

□□ عالخفيف

١) لم يلبِّ دعوة بلدية حيفا الى احتفال «عيد الأعياد» سوى قلة من رؤساء السلطات المحلية. لماذا لم نفسر ذلك بأن هؤلاء الرؤساء لا يعتقدون بان التعايش يمكن تحقيقه «بالهيلمة»! وان قبول اهالي عين حوض في «عين هود» على مسعدة أمتار، افضل لقضية التعايش والسلام!

٢) ومن يتغيب عن اقدس المناسبات الوطنية (الوعكة على الغالبية!) لا يحق له لوم المتغيبين عن مناسبة «طقع الحكي».

٣) عادي الذات في كلمته في الاحتفال يستذر العطف العربي: «ان اليمين في كرمئيل يحرض اليهود علي في قضية رمية» أيكون السيد الذات ضمّ رمية حياً من احياء مدينته ونحن لا نعلم!!

ليس للوجه الكشر!

* بقلم: د. ادوار الياس *

نحزات!

* لا ينظر العاقل الى الاشياء بعينيه فقط، بل بالحواس الأخرى وعيون الآخرين.
* لا يمكن شراء الاستقامة. واذا حدث واشتُريت فانها لم تكن استقامة.
* شدة التمسك بالماضي تعرقل التقدم نحو المستقبل.
* الكلام الجدير بالاحترام هو الكلام الذي لا يُلحق الضرر بأحد.
* المفكر هو من لم يفكر والداه عنه، بل من فكرا معه.
* لا يستطيع الخط الفاصل بين الخير والشر ان يفصلُ بين الصالحين والاشرار.
* اذا اردت حمايته فلا تضيّق الطوق حوله، كي لا تخنقه.

من اقوال الشعوب!

* يقول الالمان:
- كل ذئب يعوي في غابته.
* وتقول العرب:
- كل ديك على مزبلته صيّاح.
* يقول الدغركيون.
- على قرني وعل.
* وتقول العرب:
- على كف عفريت.
* يقول البرتغاليون:
- ابحرت السفينة بدونه.
* وتقول العرب:
- تخلف عن الركب.
* يقول الاسبان:
- لكل قرية اهبلها.
* وتقول العرب:
- لكل مغارة عفريت
* يقول الطليان:
- عندما ترقص الشياطين ترتعب الملائكة.
* وتقول العرب:
- دخلت الملائكة وخرجت الشياطين.

جاحظات!

* مع حلول مواسم الاعياد والطبخ واللغ. ينصح ابو عثمان الجاحظ بعدم دعوة التالية صفاتهم الى المشاركة في تناول الطعام العام والخاص وهم:

- اللطاع الذي يلطع اصبعه، ثم يعيدها في مرق القوم او لبنهم وسويقهم وما اشبه ذلك.
- القطاع الذي يعض على اللقمة، فيقطع نصفها، ثم يغمس النصف الآخر في الصباغ.
- النهّاش الذي ينهش اللحم كما ينهش السبع.
- المداد الذي ربما عض على العصبة التي لم تنضج، وهو يمدها بفيه، ويده توترها له. فربما قطعها بنتره، فيكون لها انتضاحٌ على ثوب المؤاكل. وهو الذي اذا اكل مع اصحابه الرطب او التمر او الهريسة او الأرزة، فأتى على ما بين يديه، مدّ ما بين ايديهم إليه.
- الدفّاع الذي اذا وقع في القصعة عظمٌ، فصار مما يليه، نحّاه بلقمة من الخبز، حتى تصير مكانه قطعة من لحم. وهو في ذلك كأنه يطلب بالمقمة تشرّب المرق، دون إزاحة اللحم.
- المحوّل الذي اذا رأى كثرة النوى بين يديه، احتال له حتى يخلطه بنوى صاحبه.

ومن ألطف ما التقطه الجاحظ واورده في «بخلائه» هو حديثة عن

الضيفن!

* وتفسيرا لما نقله الحارثي عن ابي فاتك يقول ابو عثمان:
- واما ما ذكره عن الضيف والضيفن، فان الضيفن ضيفُ الضيف. وانشد الشاعر ابو زيد: «اذا جاء ضيف جاء للضيف ضيفن/فأودى بما يُقرى الضيوفُ الضيافن».

ويقول: الاكيل لا يكون الا بالمعاينة، وقد يكون الضيفُ وان كان معه الضيفن – لا يؤاكل من اضافه، لانه يقول: فآكل الكثير من حيث لا اراه اهون عليّ.

واما قوله: «الواغل اهونُ عليَّ من الراشن» فانه يزعم ان طفيلي الشراب اهون عليه من طفيلي الطعام.

مع المشاهير!

* لم يولد في روما الايطالية او بخارست الرومانية، بل ولد في بغداد العباسية، وكان ذلك في العام ٨٣٥ ميلادية.

ولم يغفل مدونو تاريخ الادب العربي عن سرد سيرته وايراد تراثه بسبب اصله وفصله (اب روماني وام فارسية)، بل خوفاً من ذكر اسمه على اسماع علية القوم من ملوك وامراء واتباع، اسمه الذي كان يثير الرعب في نفوس الحكام المستبدين، ويبعث الامل في صدور المظلومين.

وهذا لانه، وعلى الرغم مما انزله به ارباب الطبيعة الطبيعية والطبيعة البشرية من فواجع عائلية موجعة، حافظ شهيرنا على تماسكه واتزانه ومواصلة العلم والتحصيل الى ما بعد سن الكهولة، واكتسب ثقافة واسعة في كافة العلوم التي كانت سائدة في عصره، من نحو ولغة وادب وفلسفة وفلك واساطير واصبح من اوسع شعراء العرب ثقافة.. فمن هو..؟ انه

ابن الرومي!

* وصل ابو الحسن علي بن العباس بن جوريج في العام ٨٣٥م وغادر في العام ٨٩٦م. وما بين هذين التاريخين عارك الحياة باسم «ابن الرومي»

ولان الحياة لم ترحمه، تسلم «ابن الرومي» بالمأثور الشعبي القائل: «شر البلية ما يُضحك». وتهكم وسخر من كل ما اعتبره قبيحا في محيطه. ومثال ذلك قوله في رجل طويل احمق:

- «طولٌ وعرضٌ بلا عقلٍ ولا ادبٍ/فليس يحسنُ إلاَّ وهو مصلوبُ».

اما في المسؤول المتلاعب وصاحب الادعاء الفارغ فقد قال:

- «وأطلق الجرذانَ في الليل/وصحْ: هل من مُبارز؟».

ومن اجمل المشاهد الهزلية التي يستقبح فيها «ابن الرومي» مزايا بعض الشخصيات الاجتماعية قوله:

- «يُقترُ عيسى على نفسه/وليس بباقٍ ولا خالدِ/فلو يستطيع لتقطيره/تنفس من منخر واحد».

ولكن «ابن الرومي» الذي قالوا فيه انه «طائر في غير سربه» لم يبتعد عن عشه الشعبي، خاصة في مواسم الاعياد التي تحلو خلالها القعدات حول الموائد المعرمة بـ

القطائف واللطائف!

* ويقول المسعودي في «مروج الذهب»، نقلاً عن محمد بن يحيى العلي الشطرنجي قوله:

- كنا يوماً نأكل بين يدي المكتفي، فوضعت بين ايدينا قطائف رفعت من بين يديه وهي في نهاية النضارة ورقة الخبز واحكام العمل. فقال: هل وصّفت الشعراء هذا؟ فقال له يحيى بن علي: نعم، لقد قال فيها احمد بن يحيى:

- «وقطائف قد حُشيت باللوز/والسكر الماذي حشو المرز/ تسبح في آذي دهن الجوز/سررت لما وقعت في حوزي/سرور عباس بقرب فوز».

ويضيف يحيى بن علي:

- وانشدت لابن الرومي «واتت قطائف بعد ذاك لطائف».

فقال المكتفي: هذا يقتضي ابتداء. فانشدني الشعر من اوله. فانشدته لابن الرومي:

- «وخبيصة صفراء دينارية/ثمناً ولوناً زفّها لك جؤذر/عظمت فكادت ان تكون اوزة/ وتوت فكاد اهابها يتفطر».

ويقسم يحيى بن علي بالعلي القدوس انه عند «كاد اهابها يتفطر» سال لعاب المكتفي وطلب منه العودة على الابيات، وبعد ان عاد عليها طلب منه ان يكتبها له فكتبها واضاف اليها من شعر ابن الرومي:

- ويح القوافي ما لها سفسفت/حظي كأني كنت سفسلتها/ انحت على حظي بإبراتها/شكراً، لاني كنت ارهفتها».

البحث عن الديراوي!

* ما ان انفخت الهوتة (الفجوة) الزمنية، الفاصلة بين العامين ١٩٩٧ . ١٩٩٨، تحت اقدام جارها الطبيب مُسعد اسعد الديراوي، الذي خرج من حارته الكرملية، منذ ايام عديدة، ولمّا يعد بعد، حتى هبت «كتومة الثرثارة» من منامها الكابوسي الذي كاد يقطع نفسها من شدة الضغط على عنقها.

وبعد ان اشتدت اعصابها وتماسكت مفاصلها وعادت اليها ملكة التفكير، ضبت لسانها وشدت على اسنانها، مخافة ان تتسرع وتنده على جارتيها «نجمة الفجر» و«شمس الاصيل»، المولعتين بالقهون على بلكونها المطل على «نادي البصباصين المتحدين» بقيادة «ابو عين بصيرة ويد قصيرة»، مع الاخذ بعين الاعتبار اننا في مطلع الشهر الفضيل.

ولاننا في مطلع الشهر الفضيل، فضلت «كتومة الثرثارة» كتم كابوسها في صدرها، وركبت سرميجتها وهرولت صوب وادي النسناس لاستشارة

كبير المخاتير!

* ومع وصولها الى الرصيف الممتد امام «سوبر ماركت» ام الياس الديرحناوية للثمار البلدية، المقابل لفرن والد الشاعر احمد دحبور، اصيبت «كتومة» بالتخامة لا تصيب، لندرتها، سوى علماء الاجتماع الفلسطينيين، المعصومين عن الخطأ الالتخامي.

ويؤكد الدكتوران «عقلي العاقل» و«حكيم الحكماء» اللذان فحصا «كتومة الثرثارة» فحصاً شمولياً انها زلطت «فيروس اللخمة» خلال استماعها الى خبرية ام الياس الديرحناوية التي اخبرتها ان مختار الوادي موريس شحادي وتابعة الطفران زوزو جبران الحيران ركبا المواصلات الى غزة، للاعتصام امام مقصورة السلطة الوطنية، احتجاجاً على الفرمان الذي اصدرته وزارة الحكم المحلي حول شروط المخترة.

وكانت الوزارة الموقرة قد عممت (يوم ١٩٩٧/١٢/٢٩) بياناً اشتراطياً جاء فيه، حرفياً:

- «حددت وزارة الحكم المحلي في المحافظات الجنوبية، يوم ٣١ كانون الاول الجاري، موعداً نهائياً لقبول طلبات المخترة».

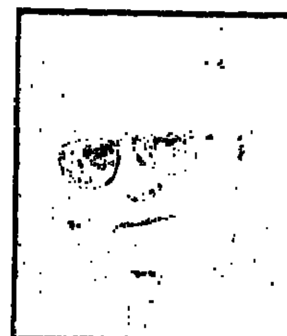
«واشترطت الحكم المحلي على المخاتير، الذين لهم طلبات مقدمة قبل التاريخ المشار اليه، يجب ان يجيدوا القراءة والكتابة، وان لا يقل عمر الواحد عن ٣٥ سنة، وان يكون من ذوي القدرة والخبرة على معالجة قضايا ومشاكل العائلة والناس، ويحوز على موافقة وجهاء بلدته ومنطقته، وكذا تواقيع ما لا يقل عن ٢٠٠ هوية مستقلة».

«واوضحت الوزارة انه في حالة التنافس بين اشخاص في العائلة الواحدة، يتم توقيف الطلبات الى حين حسم الامر من قبل العائلة بالتنازل او بالانتخابات العائلية باشراف الوزارة».

لكن الفرمان الوزاري بقي منقوصاً، لانه لم يتطرق الى معادن اختام المخترة ولم يحدد نوعيتها!

ودامت اعوامكم مختومة بالخير

* شفيق حبيب *



غَفَوْنا زمانا...

نَسينا الفضاءَ...

نسينا الضياءَ...

نَسينا المكانا...

على الحلم عِشْنا..

نَعُبُّ الفراغَ..

نُرضّع بالوهم وجه سَمانا...

* * *

سرابًا زرعْنا..

سرابًا حصدْنا..

جمعنا الغلال فكانت زؤانا..

وكانت ضباعاً..

يشد ضباعاً..

ملأنا بمر النبيذ الدِّنانا..

* * *

اخذنا من الغرب زهو القشور

وضوعَ العطور

وأزياء باريس تغزو حمانا...

لنا قادةٌ نادباتٌ

تشقُّ الثيابَ...

تَسفُّ الترابَ

اذا غابَ الفِسْ..

وماتت دِيانا

* * *

على القمع والقهر نحيا

شُعوبًا الكئيبه...

تعارِكُ بالجهل والسِّحْر

عَقلَ الحضارات دنيا

الحضيه

اذا ما دعونا الآله...

يرُدُّ دعانا..

فَصَوْتُ العَليلِ

ربيب الذَّليلِ

يضيعُ هَوانا...

* * *

هل الخيلُ خيلي..؟؟

هل الليلُ ليلي..؟؟

أم الأرضُ اضحت مراعي سوانا؟؟

لماذا سقطْنا على الدرب طوعاً؟؟

فيأكل وحشُ "الحضارات" لحمي..

ويشربُ حتى النخاع دمانا...؟؟

* * *

سوى الشعر لم يبق عندي سلاحٌ

يداوي انهياري..

ويأسو الجِراحْ..

ففي كلّ حرفٍ

دموعُ بكانا..

وفي كلّ بيتٍ

مقابرُ قتلانا..

تنادي..

تنادي

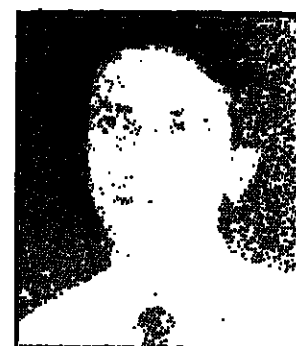
يرُدُّ صَدانا..

يجيبُ صَدانا..

ويذرو نُواحْ..

(ديرحنا)

* تركي عامر *



(١)

لما القصيده تقوم تيجي عَ الوعد
مَ بتسألك عن مسطره وبرايْ
متل الشتا ال بنزل بعد فقسة رعد
مَ بيسألك عن كستنا ودفايْ
غابة ورق لو كان عندك بالقبر
وتجندوا حدك ألف محايْ
بتلقى دقيقه تحت طوفان الحبر
ومَ بتلحق تتلفن تَ تيجي الدايْ

(٢)

مره كنت عم بفتح كتابي
فجأه شحطني الليل عَ الغابه
قلي يَ إبني نام
بلكي على الله تزورك الاحلام
نمت بلزق تينه
قلت ان بردت بتنزل وراقا تغطيني

(٣)

لمن سألتيني جوبت بإختصار
عندي الك قلب وقصيده معتقه
بعده القلب عَ الوعد مَ تغير إشي
بسّ القصيده عَ لحبال معلقه

(٤)

مره رحت مشوار عَ الجنه
رحله قبل لحساب عَ حسابي
لاقيت وحده قاعده تغني
وواحد معا بيدق شبّابه
وسهرت ليله من العمر اطول
وهَ الغيم صوب ال لا إشي هرول
وشفت القمر عا حم مشواره
فاعطِ عَ بيته يعبط نهاره
قمت الصبح شفت الثلج برا
كاتب قصيده عَ الارض مرّه
قلّي بعد تحلم إشي مرّه
مش كل مرّه بتسلم الجرّه

(٥)

مرّه كنت ماشي بأرض سرحه
طاير فرخ داير على جانبه
[illegible]

ومن الوجع والجوع شبعانه
ظهرا انكسر ماشي عَ عكازه
سمعتا عم تبربر إشي
يمكن متل يلعن ابو العازه
قلتلها إمشي معي
ندوّر عَ قرنه تكون دفيانه
قالت يَ إبني من المشي إجريّ حفيانه

(٦)

لمّن خلقت الارض مخضرّه
بالكون قالوا هَ الارض ذرّه
ومن يوم ما آدم عرف حوّا
وقالت الله برا استعمر الـ جوّا
خربت الشغله وضاعت الطاسه
تا وقعت البلّه على راسي
إنزل على ارضك إشي مرّه
تعْ شوف كيف طبّولك الجرّه

(٧)

لما الجسم يطفش عَ فيّاله
بسوق اللحم يسترخص وينهش
قول الاسم شطّب على حاله
وظفر الحلم صار القبر يبحش

(٨)

عندي حلم ختير عَ برطاش الفجر
مسهرج معي وبعده على إمه عجر

لَـ الحلم بدّه ينام عَ مخدة نعام
ولا هَ الوعي غادر يفيق من المنام

(٩)

لما الطريق تكون مسدوده
دوّر عَ أفق جديد وتعمشق
جلي إديك كتير مشدوده
ورويك لخصر الريح تتعلق

(حرفيش)

ثلاث سنوات على الرحيل..

جبرا ابراهيم جبرا في "البئر الاولى"..

ذاك الطفل من بيت لحم



* سمير الحاج *

(قبل حوالي (٣) اعوام، وبالتحديد في ٩٤/١٢/١٢، رحل عن عالمنا الكاتب الفلسطيني الكبير جبرا ابراهيم جبرا، وفي هذا المقال مساهمة في احياء ذكراه الخالدة)

* بقلم: سمير حاج *

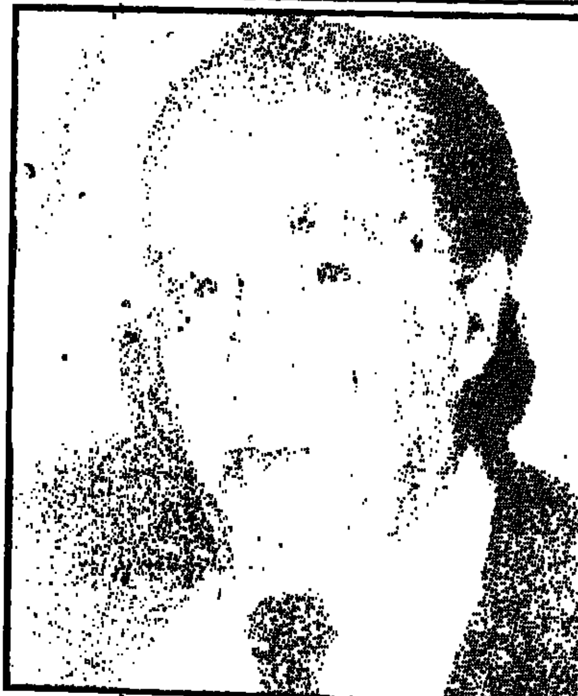
* جبرا ابراهيم جبرا صاحب البنيان المرمريّ في الرواية العربية المعاصرة، وكبير المبدعين العرب الموسوعيين، الذي إنتنع على فكر وفنون الانسانية رافضا – على حد قوله – تطبيق عبارة «هاملت» الرهيبة «إني والله لاستطيع ان احصر في قشرة جوزة، وأعد نفسي ملك الرحاب التي لا تحد – لولا انني ارى احلاما مزعجة». فجبرا اراد ان يكون جزءا من العالم وجزءا من العصر. في نظره «ان تعيش في هذا العالم، وفي هذا العصر، يعني ان تكون شموليا بمعرفتك، وثقافتك، وحسك، والشمولية تقتضي العمق التاريخي والاتساع الجغرافي معا (١)».

ويرى جبرا ان فكرة «الانسان الكوني» كمثل اعلى لكل مفكر ومبدع ليست من إختراع الغرب بل هي محصلة الحضارة العربية التي تمثلت في علمائها الموسوعيين الافذاذ طوال ما يقارب اربعمئة سنة من الزمن، وفي رأيه حين خرجت اوروبا من سكونيتها المظلمة، تسلمت هذا المثل الاعلى في الكينونة والمعرفة من العرب انفسهم.

وجبرا، في قضايا الثقافة، يرفض ان يضع حدودا وفواصل بين الشرق والغرب، بين الشمال والجنوب، مفسرا ذلك: «الا انني ارى ان الحضارة الانسانية في جوهرها كل لا يتجزأ، مهما تكن الذرائع المزعومة، المعتقد، والعرق، او اللغة. وليست المسألة في خاتمة المطاف الا: المعرفة او اللامعرفة، واللامعرفة نيل من الانسان، اينما يكن موطنه.. هناك يوم اسود ارجو الا نراه وقد اعاده علينا متسلطون جهلة، هو اليوم الذي ضرب فيه الطبيب الحكيم ابو بكر الرازي على رأسه بكتابه «الحاوي» ضربات عنيفة متكررة، الى ان غشي بصره، او ذلك اليوم الذي كفر فيه غاليليو لانه قال بدوران الارض حول الشمس (٢)».

لقد إراد جبرا ان ينقل الرواية العربية الى مصاف العالمية لتحمل ابطاله فيضا من مخزونه الثقافي الواسع ورمى بهم في المدن الكبرى حيث التناقض بين الايديولوجيات والنزعات المختلفة، كل ذلك بإثارة وبراعة في تسيير او مواكبة لحركات الشخوص الكثيرة.

ان جبرا لم يسلم من هجوم النقاد عليه حيث رأى البعض في اعماله «رؤية مزيج من الفكر البرجوازي المتأثر بشكل لا مباشر بالايديولوجيا الدينية، اضافة الى الاعجاب اللامشروط بالغرب (٣)»، وكذلك وسم همه بالهم الجمالي الفلسفي للعالم (٤).



* جبرا ابراهيم جبرا *

إن جبرا في اعماله الروائية فضح هذه الطبقة البرجوازية وشرّحها وقد ردّ على هذا الاتهام قائلا: «وان اكون محسوبا او غير محسوب على هذه الطبقة، او غيرها فقضية بالنسبة لي غير واردة اصلاً. واذا كان هناك من يحسبني على هذه الطبقة، فهو غلطان لانه لا يعرف حقائق حياتي، ولا يعرف كيف نشأت، وكيف سعيت طيلة عمري، وكيف اعيش. اما انني اعرف الطبقة البرجوازية، بمعنى من المعاني، فذلك لانني رأيت من الحياة وانماطها واشخاصها ما يكفيني لمعرفة الطبقات الاجتماعية المختلفة في المدينة، بسبب تجربتي الشخصية المباشرة والمتنوعة منذ العشرينات من هذا القرن (٥)».

رغم تعدد الموضوعات في اعمال جبرا فان الطفولة والذاتية والجذر الفلسطيني هي من المواضيع الجوهرية في رواياته. فالبطل عنده رغم نفيه الجغرافي مازال متعلقا بالمدينة التي تركها (بيت لحم او القدس) ويحن للعودة الى الجذور.

اما الطفولة بقسوتها وحلاوتها فبقيت تتألق في كتاباته وجبرا من الروائيين الذين اتبعوا اسلوب الترجمة الذاتية فاستقى الشخصيات والاسماء من البيئة والمجتمع رغم الاحتراس الذي يورده في بداية عمله بأن «الشخصيات والاسماء في هذه الرواية من خلق الخيال، فإذا وجد اي شبه بينها وبين اناس حقيقيين او اسمائهم. فلن يكون ذلك الا من محض الصدفة، وخاليا من كل قصد (٦)». ورغم التشابه بين شخصية المؤلف وجميل فران في «صيادون في شارع ضيق» فقد نفى (٧) في بداية الرواية ان تعتبر سيرة ذاتية ونفى كذلك التشابه بين الراوي جميل فران والمؤلف رغم اشارته الى ان الاثنين قد غادرا بيت لحم الى بغداد عام ١٩٤٨ لشغل منصب تعليمي في احدى الكليات.

ان جبرا مثل بطله «الفلسطيني التائه» بقي متعلقا بالماضي من ذكريات وأحزان، وهو يستقي الكثير من الاحداث المختزنة في الذاكرة عن الطفولة ويعترف بالاثر الكبير الذي تركته طفولته فيه: «طفولتي ما زالت هي ينبوعي الاغزر. انت تعلم اننا كنا ايام الصغر في بيت لحم نعتمد في حياتنا على مصدرين للماء «عين القناة» والبئر المحفورة قرب كل دار. وفي طفولتي كثيرا ما حملنا الماء من العين، وصعدناه بالدلو من البئر، فكنا نطمئن الى اننا لن نعاني الجفاف. هكذا بالضبط هي طفولتي بالنسبة الى الكثير من كتاباتي. انها البئر، او العين، التي تمدني بالكثير من النبع لما يتنامى في ذهني من نبت الخيال، وارجو انها ستستمر في منع الجفاف او العطش (٨)».

جبرا في «البئر الاولى»:

كتب مكسيم غوركي في رائعته «طفولتي»: «كان ذلك فجر حياة دائبة الجريان، طافحة بالحوادث، معقدة، غريبة، يستحيل وصفها تماما. وان ذكراها لتحيا في خاطري كحكاية كئيبة رواها لي جنيّ طيّب القلب، لكنه واقعي حتى درجة الايلام. ولكن يصعب علي حتى اليوم، اذ اعود بالذكرى الى الماضي البعيد، ان اصدق ان هذا الماضي كان حقا على ذلك الغرار، فأروح اميل الى انكار كثير من الوقائع ومعارضتها كيما اختصر مما كانت عليه الحياة في تلك «العشيرة الغبية» من ظلام وقسوة.

ولكن الحقيقة فوق كل نزوة شخصية، وانا لا اكتب هنا عن نفسي، بل عن تلك البيئة الخانقة الرهيبة التي كان يعيش فيها، وما يزال، الروسي العادي (٩)».

اذا كان الكاتب الانساني غوركي قد وصف معاناته ومعاناة باقي البشر من الامتهانات والآلام الانسانية بدءا بوصف غربته في بيت جده وغربة البشر في موطنهم الام، وعداوة جده الخانقة الذي لا يكف عن ضربه وجلده، وصراع خاليه واقتتالهما على املاك جده وصوّر الفقر والجوع، وذل وعذاب الفلاحين وشقاء والدته وبؤسها في دار ابيها، وغيرها من الاهوال التي لقيها في طفولته والتي تجسد تلك البيئة الخانقة التي عاشها الروسي العادي. فان جبرا ابراهيم جبرا في «البئر الاولى» يرصد طفولته منذ وعيه الاول، في سن الخامسة حتى الثانية عشرة، مجسدا المعاناة التي عاشها الفلسطيني في بلدته الصغيرة بيت لحم في العشرينات من هذا القرن. وجبرا يكتب عن طفولته من الغربة بشوق وظمأ الى الزمان (الطفولة) والمكان (بيت لحم والقدس) بأسلوب شفاف مشحون بالشعر، مسكون بالنوستلجيا حينا وبأسلوب روائي تفصيلي عاصف بالاثارة احيانا:

في «البئر الاولى» يقدم لنا احدى وعشرين لوحة فنية – رسمها فنان ماهر. كل لوحة تستوقفك لاستجلاء خبايا التجربة ذاك الطفل من بيت لحم الذي شمخ واصبح انموذجا للمبدع العربي الموسوعي في القرن العشرين.

لا تمت

* نوال نقاع *

لم يحضر.. لم يحضر.. لن يحضر!

ربما تلقى رسالتي بعد تشييعي -وحيدة- للجثمان، او يكون قد رفض التحدي ولم يتعثر الا بأكفان بيضاء.. بيضاء. كتبت له قبل اسبوع: أدعوك الى فنجان قهوة قبل تشييع الجثمان.. شرط ان تحضر كفنا ملونا.. وأتحداك ان تأتي بكفن ملون.

في الخامسة مساء عدت من عملي.. أجرجر الصمت ورائي بقدمين ثقيلتين.. دخلت الغرفة، خلعت حذائي الشتوي الطويل.. ورغم ذلك بقيت أقدامي ثقيلة، وحين انتبهت عيوني للفراغ الكبير الذي ملأ الحذاء، فجأة، أزاحته يداي بسرعة تحت السرير.. من أين يأتي الفراغ.. الفراغ يملأ كل شيء في هذا السكن الجامعي.. رغم الأصوات التي تنبعث حتى ساعة متأخرة من الليل من غرف عديدة في هذا البناء ذي الطوابق الستة، فالفراغ يفيض.

لم أعرف كيف أخفي فيض الفراغ.. فراغ الثياب المعلقة.. فراغ الأدراج، فراغ الفناجين والأباريق والصحون المرتبة قبالة سريري.. سرير السكن الجامعي. أغلقت الخزانة والأدراج، قلبت الصحون، ملأت الفناجين بالماء، وملأت السرير بجسدي. امتلأ السرير فقط وحل الصمت الذي رافقني الى الغرفة محل الفراغ.. الصمت.. كيف أطرده؟.. الموسيقى.. هل تطرده الموسيقى؟.. بحثت عن «فتح الفردوس».. وبلا مفتاح.. خلعت بابا في الجدار الخامس وتركت الكورس يمر.

أفسحت سرير الطريق للكورس الصارخ.. ورحت أستحضر صوتك: عن أي كفن وجنون تتحدثين؟.. لم أع تماما أنك لم تعد ترتاح الى جنون الربع الأول من عمرك وقد كدت تقص النصف.. ربما صدىء المقص بين أصابعك وصدئت الجهات على الابرة الوحيدة.. ربما ضاع الشمال وضاعت مدينتك.

لكني ما زلت في الربع الأول ولا أمتلك حتى الآن سوى جنوني الذي رضي بسكون ان يتقمص أصابعك المعتزلة.

جنوني احتل كل زاوية في الاسبوع الاخير للعام الميت.. ليس بردا ارتجفت يداي.. حين أمسك الجنون بالكفن، طواه، رمى به بين ثيابي وسفّره مع كتبي وألواني.. هل كان علي ان ادفع اجرة سفر مضاعفة؟

بينما صلى الكورس العام الميت، استفاق جنوني من قالب الجليد، افرغ الحقيبة من الكفن، نفضه بكلتا يديه ورمى به على كتفيّ.. تلقفته يداي وشدت بالأطراف على صدري حتى جرتني المرآة.. شربت عيوني وانا احدق جامدة.. حدقت حتى صفعني الثلج وسقطت في بئر خرساء. الآن أتذكر وجه أمي حين طلبت منها ان تحضر لي كفنا.. وقد ارتديت السخرية والبرود وانا اسألها عن مقاساته، نوع القماش وكيف يستعمل.. لو عرفت أمي مقدار ما في صدري من جثث لعذرتني. وأنت.. هل تعرف اي خوف لفّ متاهات ذاكرتي المعلبة.. المقفلة كالخزانة على قمصاني العتيقة التي لا أتذكر منها سوى ما أرتديه الآن؟.. هل تعرف.. هل تعرف أني قد أصبح يوما هاوية جمع مفاتيح؟ فقد أتعثر بمفتاح لهذه الذاكرة العجوز. لن تعرف.. لم أرغب كثيرا ان تعرف.. أردت فقط ان تأتي بأصابعك لتغسل عن رأس السنة وملامحها بعض الوحدة والقبح. أصابعك لم تأت.. وكذلك أنت.. لكن جنوني جاء.. فرد الكفن على المصطبة، أمسك بالريشة والألوان، رمى بالأسود من الشباك وكسّر كل أبيض في داخلي حتى تناثرت أقواس قزح من قلب العلب وضاع بياض الكفن وكل بياض آخر في الغرفة.

لم أعرف حتى الآن.. وربما لن أعرف يوما كيف أواري الجثث المتراكمة في صدري.. جثث كثيرة بعضها غارق في الدم والبعض الآخر غائر وسط التجاعيد والانكسارات.. كم عددها؟.. لا أريد أن أعرف.. أتعجب من قريب لا يترك خبرا أنه سيموت، ومن صديقة أقسمت ساخرة ألا تموت قبلي.. ثم خدعتني. كيف عادوا بلا ملامح.. بلا وجوه.. رملا منثورا في صناديق خشبية.. بقية ساعات خنقها الدم.. أجساد ثقبها الرصاص ولحم أكلته النيران. لم أعرف يوما كيف أرتاح من ملمس أطرافهم المتصلبة الذي لا يزال يلسع جلد أصابعي..

لم أعرف كيف أمسح عن شفاهي طعم الثلج الذي ندف من أياديهم الميتة.. لم أعرف.. لكني عرفت الليلة كيف أغطيهم.. أغطي جثثهم عن عيوني، مع ثقتي أنها لن تبرح مكانها ولن تجد قبرا يواريها. هذه الليلة ضاع قليلا تشنج الملامح عن نافذتي، وذاب قليلا الثلج الملقى على الأيادي الممددة بلا حراك.. هذه الليلة تعثّرت بمفتاح للنوم ونمت قليلا.. فغادر الكورس ولم أنتبه.

في الصباح استفقت على سنة أخرى بلا رأس.. ورأسي مكانه.. اية مصادفة.. اذاً أدعوك مجددا الى فنجان قهوة لأهديك الكفن الذي لن تجد.. شرط ألا تموت.. عدني ألا تموت!

(بيت جن)

في «البئر الاولى» يكتب جبرا عن معاناته ومعاناة اهله التي هي صورة لمعاناة المجتمع التلحمي في الثلاثينات من القرن العشرين بأسلوب تراجيكوميدي.. تضحك منه ومعه حتى النخاع في حكاية «الهيطلية».. الأكلة الموعودة عنده والتي تعتبر حدثا هاما حيث لا قدرة لوالدته على شراء الحليب الا في المناسبات وعند الضرورات وبعد ان طبختها والدته صبتها في وعاء معدني لتبرد وتحتفظ بها عند العشاء حين يعود والد جبرا من الشغل.. واوصت جبرا ان يكون «عاقلا» ريثما تذهب هي وجدته الى «الأكلة البيضاء الشهية» وخرج الى الشارع ليحدث اترابه بالحدث الهام وامي طبخت هيطلية» ويدعوهم الى البيت ليقعدوا على الارض في حلقة حول الطبق الابيض ثم وزع عليهم الملاعق، ولم تبق له ملعقة، فيأكل بالمغرفة وفي تلك «اللحظات الرائعة» تدخل امه وجدته ويرمي الصبية ملاعقهم هاربين في كل اتجاه.. ويركض جبرا الصغير مسابقا الريح.

جبرا صاحب الفن التعددي، الروائي القاص، الشاعر، الناقد، الرسام، المترجم الحاذق الذي اغنى المكتبة العربية بروائع شكسبير وفوكنر وجيمز فريزر والكسندر اليوت وبيكيت ولافونتين وغيرهم من اساطين الادب العالمي، يطل علينا من خرزة «البئر الاولى» طفلا في الخامسة «حافي القدمين» يتعلم في مدرسة الروم الارثوذكس في بيت لحم بين خمسين صبيا من اعمار شتى في غرفة واحدة وعلى يد معلم واحد. والده عامل بناء فقير، أمي، لكنه يحتفظ الكثير من الحكايات الشعبية المستقاة بأهلها من «الف ليلة وليلة» والتي رواها على مسمع جبرا الطفل غارسا فيه من حيث لا يدري البذرة الاولى التي نمت واصبحت شجرة لقالية باسقة. اما والدته فهي فلاحة بسيطة، امية، لكنها تحفظ الغناء وتغني امام «البريموس» اغاني حزينة جميلة. وقد ميز جبرا ذلك باعجاب وفخر «كنت اعرف ان ابي لا يملك من متاع الدنيا الا الثياب التي على ظهره، ولكنه كان يملك الفانية وحكاياته، وحبه الفائض على كل شيء حوله، وكان يملك قوته البدنية التي احيلت تفارقه، وقوته الروحية، التي لن تفارقه لم اسمعه يوما يفوه بشتيمة، وارادني ان اكون في ذلك مثله (١٠)».

ان شظف العيش وصور الفقر اكتنفت طفولة جبرا وحياة اهله، فوالده يصنع حذاء من اطارة مطاطيّة قديمة لانه لا يملك ثمنا لحذاء. كما ان زوج الاحذية من نوع «البوتين» - هدية الدير الثمينة التي اعطيت لجبرا لانه داوم الحضور الى الكنيسة - بيعت اضطرارا من قبل والديه قبيل عيد الميلاد لشراء حاجة العيد.. وقد تركت هذه الحادثة اثرا عميقا في نفسه عبر عنه بتلك الحسرة «لسنوات بعد ذلك، كلما جاء عيد الميلاد، كنت اتذكر ذلك البوتين الذي لم البسه، ثم ما البث ان انساه في غمرة افراح العيد او في غمرة الاشجان التي كان العيد في بعض السنين يجيء بها قاسيا ودون رحمة (١١)».

ويصف جبرا انتقال اهله المتواصل من كوخ الى آخر بحثا عن اجر اقل. كما ان اخويه يوسف ومراد اضطرا الى ترك المدرسة في سن مبكرة كي يعينا الاسرة بعد مرض والده. وقد اراد جبرا ان يترك المدرسة على غرارهما للمساهمة في تحمل مسؤوليات العائلة لكن اخاه يوسف ووالديه جعلوه يواصل التعليم.

ويسهب جبرا في الحديث عن التربية الدينية المسيحية التي ترعرع ونشأ عليها حيث اجواء الصلوات والتراتيل الدينية وتقوى الوالدين ونشاطات الاديرة والكشافة. وقد اراده ابوه ان يكون مثله حيث يقول «صنعة كانت وصايا ابي.. ولكنني لم انسها قط (١٢)».

ويذكر جبرا تفوقه وتفوق اخيه يوسف في المدرسة، لدرجة ان المعلم جريس (مدرسة السريان الارثوذكس) قال لوالديه عنهما «سيصبح كلاهما معلما تفاخر به بيت لحم كلها.. إي والله (١٣)».

وفي «البئر الاولى» يتحدث جبرا عن التحاقه بالمدرسة الحكومية الوطنية في بيت لحم العام ١٩٢٩ حيث التعليم مجاني ويحدثنا عن معلميه وعن المفتشين الذين كانوا يزورون مدرسته امثال خليل السكاكيني، إسعاف النشاشيبي، والشيخ حسام جار الله. في هذه المدرسة يؤكد جبرا تفوقه وبروزه طيلة سنواته المدرسية حتى انتقال عائلته الى القدس العام ١٩٣٢.

وفي القدس يتحدث جبرا عن التحاقه بالمدرسة الرشيدية التي كان عميدها المفكر الفلسطيني احمد سامح الخالدي ويذكر تفوقه هناك.

في «البئر الاولى» لم يغادر جبرا الطفل بيت لحم والقدس، فعالمه البيت والمدرسة والحارة.. انها تشكل ثالثة الاثافي لذلك القدر الذي شكل زاده الاول.. فجبرا يؤكد ان الحكايات الشعبية التي كان يرويها له والده الامي ودروس القراءة العربية والمحفوظات في المدرسة الحكومية في بيت لحم، وتعاليم اخيه يوسف شكلت المخيلة الاولى عند ذلك الطفل الصغير.

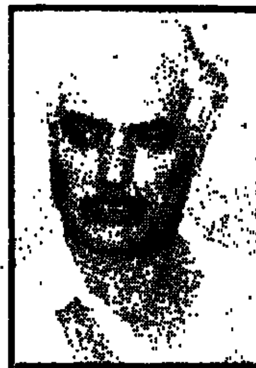
يتوقف جبرا في «البئر الاولى» عن متح الدلاء حين يبلغ سن الثالثة عشرة.. ليبدأ في «شارع الاميرات» بالجزء الثاني من سيرته الذاتية التي لم تكتمل.

واذا كانت الرواية عند جبرا فيها الكثير من السيرة الذاتية، فهذه السيرة الذاتية جاءت بأسلوب الرواية المركبة إثارة وتشويقا.

(عبلين)

(١) جبرا ابراهيم جبرا، «تأملات في بنيان مرمري»، رياض الريّس للكتب والنشر، لندن، ص١٣١
(٢) المصدر نفسه، نفس الصفحة.
(٣) فيصل دراج في محاورة عبد الرحمن منيف في كتاب «الكاتب والمنفى» دار الفكر الجديد، ١٩٩٢، ص٣١١.
(٤) المصدر نفسه، نفس الصفحة.
(٥) جبرا ابراهيم جبرا، تأملات في بنيان مرمري، ص١٣١.
(٦) جبرا ابراهيم جبرا، السفينة، دار الآداب، بيروت، ط٤، ١٩٩٠.
(٧) جبرا ابراهيم جبرا، صيادون في شارع ضيق، دار الآداب، بيروت ط٣ ١٩٨٨ - (مستهل الرواية).
(٨) جبرا ابراهيم جبرا، الفن والحلم والفعل، المؤسسة العربية، ط٢، ١٩٨٨ ص٣٩١.
(٩) مكسليم غوركي، طفولتي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان ص٢٠.
(١٠) جبرا ابراهيم جبرا، البئر الاولى، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ص١٤٧.
(١١) البئر الاولى، ص٧٧.
(١٢) البئر الاولى، ص٦٨.
(١٣) المصدر نفسه، ص٥٣.

حجر في الهواء



كلمات.. كلمات.. كلمات..!

□ احمد دحبور □

أذكر مقالة طريفة لجبران، قرأتها في صباي، وكانت واحدة من غارات هذا اللبناني العجيب على الكلام بحد ذاته، فقد قصف جبران مملكة الكلام بوابل من صواعقه وشطحاته، حتى اذا ظن انه روى غليله منه، ختم مقالته بقفلة مثالية قائلاً: «لقد هاجمت الكلام ولكن بالكلام».. وانا الذي لم اكن جبرانياً في يوم من الايام، لم استطع المكابرة وادعاء عدم اقتناعي بتلك المقالة، بل انني كثيراً ما اجدني اعيد انتاج معانيها، في ممارساتي اليومية، من حيث لا ادري ولا اريد.. ولعل من تورطوا في ممارسة الكتابة جميعاً، معرضون باستمرار للحيرة في شأن الكلام، فإذا كنا من ارض قدست الكلمة، في احد اناجيلها، حتى انزلتها منزلة العبادة. واذا كنا ننتسب الى امة، جعلت من الشعر - وهو كلام اولاً وأخيراً - ديوانها وحافظة ذاكرتها، فإن التساؤل يظل مشروعاً وملحاً حول جدوى الكتابة.. فقد يتفق للكاتب موضوع حساس، ويتوفر للموضوع اسلوب شيق، ويوهب الاسلوب قوة الاقناع.. ولكن الحياة تظل تدور، ويذهب الموضوع والاسلوب والاقناع الى وادي النسيان، وقد لا يبقى من ذلك كله، الا شعبية الكاتب الذي نسي الجمهور الذي منحه تلك الشعبية، موضوعه الاصل، وهو أكثر اهمية من تحية اعجاب او مكاملة دافئة.. ترى اليس هذا فحوى الاشارة القرآنية الى الشعراء الذين هم في كل واد يهيمون؟ ثم اليس هيمانهم في الوديان تعبيراً عن خيبة املهم من «الغاوين»؟ وماذا اذا اضرب الشعراء والمفكرون والأدباء عن الانتاج، بعد اذ لم يروا جدوى لما يكتبون؟ الن يكونوا مضطرين الى معاودة الكتابة، لشرح سبب اضرابهم عنها؟ وسيقال في هذا المجال: ان اهل الكتابة مدللون، فالجمهور يعطيهم كل شيء: الحب، والاعجاب، والتكريم، مقابل سريعات يقضونها مع القلم والورق، وهذا صحيح لو ان الكتابة مهنة مجردة، ولكن المشكلة مع الكتابة انها خطاب يتطلب إجراءات لاحقة وتدابير، وعندما لا يجد الكاتب صدى لما يقول فإنه امام حالتين: اما ان يكابر، ويغض نظره عن الصدى السلبي لصوته على الورق، فيواصل الكتابة الى ما شاء الله.. واما ان يتحول الى ما وصفه النرويجي هنريك إبسن بـ «عدو الشعب».. ونحن كثيراً ما نرى مثقفين لامعين، لا يتوانون عن شتم مجتمعاتهم، كمقدمة لانسحابهم واغترابهم عن الآخرين..

هكذا لا تكون الكتابة دائما نعمة، بل قد تكون نقمة.. ولكنها النقمة التي اختارها الكاتب لنفسه، فلا يستطيع فكاكاً عنها..

الشعر والرسالة

لا ادري كيف قادتني اصابعي الى هذه المنطقة من الكلام، ربما لأنني، في اللاوعي مني، جهرت بأمنيات ودوّنت رغبات عامة، فقوبلت أمنياتي ورغباتي بالترحاب من كثيرين، ثم بقيت الأمور على الارض كما هي، لم تتحقق امنية، ولم تظفر بالانجاز رغبة.. وهو امر - على بساطته الظاهرية - يطرح - سؤالاً أخلاقياً على الكتاب عموماً، وعلى الشعراء بصفة خاصة.

سأوضح اكثر: يكتب الشاعر قصيدته لاسباب كثيرة، بينها سبب استراتيجي غير متواضع ولكنه غير مباشر، هو انه يريد للحياة ان تكون اكثر جمالاً وعدلاً، وقد كان اسلافنا الشعراء يتولون ادوار حداة الأمة وهداتها، فيحرضون على انتاج ما هو جميل حسب القيم السائدة: البطولة، الكرم، السلام الاجتماعي.. إلخ، ثم تطور تعامل الشعر مع الحياة، فنأى عن المباشرة والخطابة، ولكنه احتفظ بحبل السرة الذي يشده الى الآخرين، وظل الآخرون يطلبون من الشاعر، بشكل او بآخر، ان ينطق بكلمة السر، من غير ان يكونوا ملتزمين بالتماهي مع رغبات هذا الشاعر، بل انهم لا يستطيعون ذلك اصلاً، فالشعراء كثيرون، وامزجتهم ورغباتهم غير متشابهة، وقد لا يحق لها ان تتشابه، والا تحول الابداع الى عملية استنساخ، وعليه فإن الجمهور - وهو غير موحد بدوره - لا يمكن ان ينصرف بكليته الى تلبية رسالة شاعر معين دون سواه.. لهذا يلجأ من نسميهم بالشعراء الملتزمين الى القضايا المتفق عليها في الوجدان العام: الحرية مثلاً.. وهي من أنبل قضايا الانسان، وسيقبل الجمهور على القصيدة التي يجد فيها جوعه الى الحرية اكثر مما يجده في بقية الشعر.. وساعتها يتأزم الشعراء الذين لم تظفر قصائدهم بالقبول، وقد يكيدون شاعر «المنتصر».. والسؤال هو: اذا كان شاعر الحرية ذو القصيدة غير الناجحة، يريد لشعبه الحرية وللعالم اجمع.. فلماذا يحزن ويغضب ويتأزم عندما تتحقق احلامه في ان ينادي الشعب كله بالحرية، من خلال قصيدة شاعر آخر؟ هذا هو السؤال الاخلاقي: هل الشاعر، في هذه الحالة، مع الحرية.. ام مع الاستجابة التي كان يطلبها من الجمهور لقصيدته هو شخصياً عن الحرية؟ فإذا تركنا هذا الشاعر الخائب مع حيرته وأزمته، فماذا عن الشاعر الذي لقيت قصيدته مجد القبول؟ إنه سيحظى بالثناء، والاعجاب، و..و.. ثم يأوي كل واحد الى فراشه البارد. هل هي أنانية من الشاعر؟ هل هي ورطة؟ هل نفهم من خلال مثل هذه الاسئلة زفرة شاعر متمرد حارّ بعلاقته مع الناس، فانتهى الى الانتحار، بعد أن كتب:

الجماهير التي يعلكها دولاب نارْ
من انا حتى اردّ الشمس عنها والدوارْ
عمق الحفرة يا حفار-
عمقها لقاع لا قرارْ

ولعلكم عرفتم انه الشاعر المرحوم خليل حاوي،، غار الشعراء من قصائده، ثم غاروا من شجاعته واقدامه على الانتحار، ولكن ماذا عنه؟ عن ألم الشاعر وحيرته بين دكتاتورية النص وغموض الجمهور؟

هذا وذاك

في رائعة شكسبير الخالدة «هاملت»، يقترب بولونيوس، رئيس وزراء الدانمارك ووالد الحبيبة أوفيليا، من هاملت ليسأله عما يقرأ، فيعطي جوابه الشهير العابر للعصور: كلمات.. كلمات.. كلمات.. وقد كان من الممكن ان يكون هذا الجواب الملتبس، شأن اجوبة العرافين والمشعوذين، حمّال اوجه، لولا ان بولونيسون يعلق على جواب هاملت قائلاً: «وان هذا جنون، ولكنه جنون بأسلوب».. وقد يفسر بولونيوس هذا لنفسه ما قصد بالجنون، فيقول: «وان اجوبة هاملت في بعض الأحايين، فيها براعة كثيراً ما تتفق للجنون وتعصى على العقل والمنطق».

ومع ان شكسبير لم يتقمص اياً من شخصيات مسرحياته، الا أنني اسمح لنفسي ببعض الحذلقة، فأذهب الى انه لم يكن بعيداً عن هاملت وهو يردد: كلمات.. كلمات.. كلمات، بل إنني افترض ان صاحب ذلك الجواب، هو المبدع، اي مبدع على مر العصور، وان هناك بولونيوس دائماً، ليفسر تلك الكلمات بأنها جنون بأسلوب.. واذا كان لا بد من الفذلكة، بعد الحذلقة، فقد يكون التعبير المواتي هو: جنون العقل.. او عقل الجنون..

فالكتاب - وما زلت افضل اختيار الشاعر أنموذجاً - يذهب الى الحقيقة كما يراها، ويجاهد لتطابقها مع الحق، وهو بهذا كامل العقل، لكن كل ما يلحق بذلك هو فوق العقل وخلفه.. هو الجنون المجازي، فالاسلوب يزحزح عمارة الكلام التقليدية، ويستنفد ادوات التورية والكناية والاستعارات، فضلاً عما يشحن به الكلمة من معان تتجاوز حمولتها القاموسية، والمتلقي - الجمهور في آخر حساب - محكوم بانتقاء بعض المعاني، فهو لا يجزم بالمعنى المحدد للكلمة، فإذا قال الشاعر مثلاً: «ماء»، فان الذاكرة المتلقية قد تحيل الى ماء الشرب، او البحر، او عرق الجسم، او الدمع، او المطر، او النهر، مما قد يفضي الى الغرق او الري او النجاة او استمرار دورة الحياة.. صحيح ان ارتباط الكلمة بما قبلها وما بعدها، سيجعلها اقرب الى التحديد، ولكن الصحيح ايضا ان الكلمات المجاورة لها، هي ايضا كلمات مجازية حمالة اوجه، وبالتالي فلا بد من التأويل، ومن انتقاء بعض المعاني، وبناء عملية التفسير وفق ذلك.. وهكذا فإن الكلمات من شأنها ان توصل رسالة الشاعر، ولكنها لا توصلها تماماً كما تجيش في نفسه، فلا بد من حالة احتمالية هي حصة المبدع الذي لا يرى في اعجاب الآخرين مكافأة كافية، ولهذا كان القلق من سمات المبدعين، وقد اقر الجمهور بذلك منذ عبارة «المعنى في قلب الشاعر» حتى ما يسميه الحداثيون بالقطيعة.. ولهذا فإن الشاعر مجنون، كما انه عاقل، مجنون بأسلوب، اي وفق نظام خاص به، اي وفق ادارة معينة للعقل، وهو ايضا عاقل في مستوى حياته اليومية مواطناً، ومنتجاً، وزوجاً، وصديقاً: الشاعر هو هذا المجنون وذاك العاقل.. وقد لا يكون مطلوباً من الجمهور ان يحتمله، ولكن قصيدته - اذا كانت قصيدة حقاً - من شأنها ان تحمله وتحميه.

كلام الكليم

ويمتد بنا التداعي مع الكلام، الى عبقري القرون الوسطى مايكل انجلو، عندما انجز تمثال النبي موسى، وأخذته روعة عمله، فصرخ بالتمثال صرخته المشهورة: «تكلم..»، ولم ينطق التمثال طبعاً، فانقض عليه الفنان «المجنون» بالإزميل، مما سبب الأذى لأذن التمثال..

والآن تعالوا نتأمل هذه الواقعة: من الممكن ان تكون المصادفة، وحدها، هي التي جعلت إصابة التمثال من جهة الأذن، ولكن للمصادفة، كما تقول الماركسية، ضروراتها أحيانا، فالأذن لها علاقة بالسمع.. اي بالكلام، ثم ان النبي نفسه الذي اقيم له التمثال، وهو موسى، ذو علاقة مركبة بالكلام، فنحن نعرف انه كان عييّ اللسان، اثر امتحان الجمرة والتمرة الذي تعرض له وهو طفل، فقد اوذي لسانه، ونطقه بالتالي، بعد ادخال الجمرة في فمه، وبعد ذلك ظهرت معجزته بين الأنبياء بأنه كليم الله، وقد كان في طليعة مطالبه من الخالق: «واحلل عقدة من لساني، يفقهوا قولي»..

ولا يمكن لمايكل انجلو ان يكون مكتظا بهذه الخلفيات حول علاقة موسى بالكلام عندما ضرب تمثاله بالإزميل، فنحن نعلم ان انجلو، هو صاحب العبارة الجميلة الخالدة: ان التمثال يكون موجوداً، من قبل، في الصخرة، وليس على الفنان المبدع الا ان يستخرجه، بمعنى ان عمله المضني، وهو يحفر وينحت ويوضب، كان بمثابة استجابة الى نداء غامض، قد نسميه الإلهام، او الوحي، او الاشراق، وهي امور لا تتم الا لصاحب الموهبة.. وعلينا ان نفترض انه كان ينشئ حواراً، من غير كلام، مع الصخرة التي اسفرت عن تمثال النبي موسى، حتى اذا استوى التمثال كياناً واضحاً، كان عليه ان ينطق، ان يتجاوز عقدة اللسان، وان يوقظ معجزة الكليم التي يقابلها في تلك اللحظة اعجاز الإبداع، لكن صمت التمثال الموضوعي - اذ لا يمكن للحجر ان يتكلم - كان يقابل خيبة امل الشاعر من جمهوره بعد استقبال قصيدته الناجحة، لقد تحقق الفرح الفني، وكوفئ المبدع، ولكن عطشه الى ما وراء المكافأة المعنوية، او حتى الروحية، ظل جارفاً.

لا يخبرنا تاريخ الفن عما جرى بعد كسر أذن تمثال موسى، ولكن دعونا نتخيل ان أنجلوا اقترب منها وجعل يصرخ، على انتظار ان يسمعه الحجر ليردّ عليه، وسامح الله مايكل أنجلوا.. فهو لم ينتبه الى ان التمثال قد نطق فعلاً، وقبل ان يقول له: «تكلم».. لقد تكلم على طريقته الخاصة، بصمته الحجري المشع الذي يدل على براعة عبقرية الفنان.. وما زال هواة الفن يسمعون كلام الكليم حتى الآن.. وكان الأهم ان يسمعه الفنان نفسه، لكن هذا صعب..

لعل من اقدار المبدعين، الا يسمعوا الكلام القابع خلف كلامهم وانتاجهم.. ولهذا فهم على عطش دائم، ومتى كف المبدع عن العطش، فإنه ينتقل من لهب الهواية الى برودة المهنة.. وشتان بين المهني والفنان، الاول يتكلم، اما الثاني فتتلاحق امامه الحياة: كلمات.. كلمات.. كلمات..

وكل عام وشعبنا، والبشر جميعاً، بخير..